

ديوان الإمام الشافعي

أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي

شرحه وضبط نصه وقدم له

الدكتور عبد الطباع



رَبِّكَ
الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ

دِيَوَانُ
الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ

مُشْرَحُهُ وَضَبِطَ نَصْرُوحُهُ وَقَدَّمَ لَهُ
الدُّكْتُورُ عَمْرُو بْنُ فَارُوقِ الطَّبَّاعِ



جميع حقوق الطبع والصف والاخراج
محفوظة لـ :

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع



تلفون : ٥٥٦٩٧٦ - ٥٥٦٩٧٨
فاكس : ٧٩١٢٩٨ / ٠١ كود بيروت : ٠٠٩٦١١
ص.ب : ٣٨٧٤ - ١١ رمز بريدي ٢١٥٠ ١١٠٧
بيروت - لبنان

محمد بن إدريس الشافعي

بقلم: الدكتور عمر الطباع

كان أشبه بواسطة العقد في العلوم الدينية ومذاهبها، فقهاً وحديثاً، ودرّة في سلك العلوم اللسانية لغةً وأدباً وشعراً على حدّ سواء. بل كان إمام عصره في أكثر هذه العلوم وتلك الأصول. أضف إلى ما تقدم شرف المنبت وعزّة المحتد وانتفاء فيهما إلى فرع سامق - من دوحة النبوة - هداه في الدين إلى الحق وفي العقيدة إلى الجوهر وفي الذات إلى علو الشأن وكبر النفس، وفي المجد إلى عظمة الفكر وغزارة العطاء وعمق النتائج. ذاك هو محمد بن إدريس الشافعي أحد أئمة المذاهب الإسلامية الكبرى المعروفة.

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي... بن كنانة... بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد. وذكر ياقوت أن «هاشم هذا الذي في نسب الشافعي ليس هو هاشم جد النبي»: ذلك هاشم بن عبد مناف فهاشم هذا هو ابن أخيه ذاك.

ولد الشافعي - كما روى عن نفسه - بغزة سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م)، وهي من بيت المقدس على ثلاث مراحل. وفي رواية أخرى كانت ولادته في عسقلان، وهي على بعد ثلاثة فراسخ من غزّة، «وكلاهما من فلسطين»^(١). وفي رأي ياقوت: أن ولادة الشافعي كانت في غزّة ثم انتقل إلى عسقلان إلى أن ترعرع. وكانت ولادة الإمام الشافعي يوم مات أبو حنيفة. أما وفاته فكانت سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م)، وهو ابن

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٣٩٤/٦.

أربع وخمسين سنة، وقيل: «وهو ابن ثمان وخمسين سنة» بتقديم وتأخير في التواريخ.

قال الشافعي: «ولدت باليمن - لأن غزة وعسقلان من قبائل اليمن»^(١) - فخافت أمي علي الضيعة فحملتني إلى مكة وأنا يومئذ ابن عشر أو شبيه بذلك.

كان الشعر والنحو والغريب أول ما طلبه الشافعي من العلم بل أهم ما استحصف^(٢) في نيله كما ذكر ياقوت برواية الزبير بن بكار عن مصعب بن عبد الله بن الزبير^(٣) قال ابن بكار: فقلت - للشافعي - إلى كم هذا؟ لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك، وانصرفت به معي إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به^(٤).

وكان مالك بن أنس وهو من هو في الفقه وعلوم الدين وصاحب المذهب المعروف باسمه رأس شيوخ الشافعي، بفضلته تحول من العلوم اللسانية والشعر إلى علوم الشريعة فكان مصلياً ثم بات مجلياً^(٥) في هذا الميدان بعد أن أخذ عن كثيرين من مشايخ المدينة وعلماء العراق ومنهم محمد بن الحسن الذي انقطع إليه مدة سنين.

وللشافعي رواية طويلة في وصف مسيرته العلمية وكيف استهل بالآداب وكيف جذب بعد ذلك في طلب المعرفة الدينية، مبتدئاً بـ «الموطأ» قبل أن يأذن له صاحب الموطأ مالك بن أنس بالأخذ عنه والجلوس إليه.

في حديث الشافعي عن نفسه وحداثته نستشف ذكاءه وقوة حافظته وشغفه بالدرس وملازمته هذيلاً^(٦) في البادية سبع عشرة سنة يتعلم كلامها ويأخذ طبعها لأنها أفصح العرب. هكذا شاء قدر الشافعي قبل أن يتألق نجمه في الفقه والإفتاء والحديث أن يملأ كنياته بأخبار العرب وأيامهم من ينابيع التراث العربي الثرة وقراح سلسيلها، من مسارح أرض الهذليين «يرحل - برحيلهم، - وينزل - بنزلهم»^(٧).

ومن طريف ما حدث به الإمام حول هذه المرحلة من عهد الطلب أنه: كان

(١) م. ن ص ٢٣٩٤، نقلاً عن أبي عثمان ابن الشافعي.

(٢) استحصف: استحكم. (٥) مجلياً في الميدان: سابقاً فيه.

(٣) م. ن ص ٢٣٩٤. (٦) هذيلاً: أي بني هذيل.

(٤) م. ن ص ٢٣٩٤. (٧) معجم الأدباء لياقوت (٦/ ٢٣٩٥).

يتلقت الخزف والرقوق وكرب النخل وأكتاف الجمال^(١) يكتب فيها. وأنه كان يأتي الدواوين يستوهب منها الظهور فيكتب فيها، كما كان يملأ حباً كانت لأمه فيملأها بالأخبار والأحاديث. فكان في هذا أسبق من أبي العتاهية في كتابة منظوماته على كسر الخزف والجرار.

ولو شئنا أن نطنب في تعداد ما امتلك الشافعي من نواصي العلوم في مختلف فنونها وأغراضها لسقنا ما رواه ياقوت من خبره في مجلس الرشيد، إلا أننا نكتفي بما قاله الشافعي حين سأله الخليفة عن علمه بالقرآن والنجوم والأنساب والمواضع فقال: «عن أي علوم - القرآن - تسألني، عن حفظه فقد حفظته. . . وعرفت وقفه وابتدأه وناسخه ومنسوخه وليليته ونهاريته ووحشيتة وإنسيته وما خوطب به العام يراد به الخاص وما خوطب به الخاص يراد به العام. . . أما النجوم؟ - : فإنني لأعرف منها البري من البحري والسهلي والجبلي والفيلق والمصبح وما تجب معرفته - وأما الأنساب؟ - : فإنني لأعرف أنساب اللثام وأنساب الكرام ونسبي ونسب أمير المؤمنين^(٢) . . .

وليس أدل على علو كعب الشافعي - في أبواب العرفان وطول باعه ورسوخ قدمه في القضايا الفقهية ودراسة الحديث والقدرة على التأويل - من أخبار تلك المناظرات التي خاضها ورجح بها ميزانه بينما شالت موازين خصومه ومناظريه ومن ألمعهم إسحاق بن راهوية^(٣).



حظي الشافعي - لما حباه الله من المواهب البهية ومكاسب العلم السنية والسيرة الشريفة والشمائل السامية العفيفة - بأعجاب الدارسين وثناء النخبة من المؤرخين فقال البيهقي^(٤):

«اجتمع للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره فأول ذلك شرف نفسه ومنصبه وأنه من رهط النبي ﷺ، ومنها صحة الدين وسلامة الاعتقاد من الأهواء والبدع، ومنها سخاوة النفس ومنها معرفته بصحة الحديث وسقمه، ومنها معرفته بناسخ الحديث ومنسوخه، ومنها حفظه لكتاب الله وحفظه لأخبار رسول الله ﷺ،

(١) يشير إلى قطع الفخار والجعد وأوراق الجريد وعظام الجمال التي اتخذها للكتابة.

(٢) كتاب المناقب للبيهقي (١/ ١٣٢ - انظر معجم الأدباء لياقوت (٦/ ٢٣٩٧).

(٣) انظر طبقات السبكي (٢/ ٨٣).

(٤) البيهقي (المناقب): ١/ ٥٥ و ٢/ ٣٢٤.

ومعرفته بسير النبي ﷺ ويسير خلفائه، ومنها كشفه لتمويه مخالفيه، ومنها تأليف الكتب القديمة والجديدة ومنها ما أتفق له من الأصحاب والتلامذة مثل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه وإقامته على السنة، ومثل سليمان بن داود الهاشمي وعبد الله بن الزبير الحميدي والحسين الفلاس وأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، وحرملة بن يحيى التجيبي والربيع بن سليمان المرادي... وابن أبي الجارود... وابن سريج... والخلال... وابن سلام، والقائم بمذهبه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني.



توزعت حياة الشافعي بين تاريخ مولده وتاريخ وفاته وعهدي الطلب والأستاذية بين فلسطين واليمن والحجاز والعراق ومصر وحلّ في العديد من البلدان طالباً وإماماً كما تقدّم. وحين قدم إلى مصر في الأعوام الخمسة الأخيرة من حياته [١٩٩ - ٢٠١ هـ = (٨١٤ - ٨١٩ م)] بلغ أعلى مراتب الشهرة والألمعية عندما استوى مذهبه راسخ البنيان سامق الأفنان بين مذاهب الشريعة الإسلامية. وفي جامع الفسطاط أخرج الشافعي من كنانة إبداعه أحدث كتبه يتوجّها كتابه «الأم» الذي كان الكتاب الجامع لمذهبه القائم على الكتاب والسنة والقياس وإجماع الأئمة وقد أوردنا في السياق أسماء العلماء من المصريين الذين كان لهم شرف التتلمذ له وفيهم الجيزي، والبويطي والمرادي.

ورواة كتب الشافعي أكثر من أن يعدّوا يكفي تعداد الأفضاذ منهم وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل وأبو ثور والزعفراني والكرائيسي من علماء بغداد. قال ياقوت: «كان الشافعي محبباً إلى الخاص والعام لعلمه وفقهه وحسن كلامه وأدبه وحلمه»^(١)، قال الزعفراني وهو من نخبة أتباعه «كان أصحاب الحديث رقوداً حتى جاء الشافعي فأيقظهم فتيقظوا»، والسرّ في ذلك أن الشافعي كان يركّز في آرائه على القرآن والسنة ويحضّ على الأخذ منهما قبل اللجوء إلى القياس، وسنده في هذا هو قوله تعالى: ﴿ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾^(٢). بكل هذه القيم الخلقية والعلمية تبوّأ الشافعي أرقى المراتب في الحديث والتشريع واشتهرت فتاويه وعمّت

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت ٦/ ٢٤١٥ - ٢٤١٦.

(٢) القرآن الكريم سورة الحشر الآية ٧.

الأمصار، كما تعزّز مذهبه بين سائر المذاهب.

لعلّ العنوان الأبرز في شخصية الشافعي العطاء الفكري غير المحدود البارز في آثاره التي تتجاوز المائة كتاب والتي أثبتت المراجع تفصيلها وبينها معجم الأدباء لياقوت.

ومن أهم هذه الآثار كتب: الطهارة - الإمامة - صلوات العيدين والاستسقاء والكسوف - الزكاة الكبير - المناسك - الرسالة - أحكام القرآن - اختلاف الحديث - الشهادات - ردّ الموارث - الوصايا الكبير - الولاء والحلف - الصداق - إباحة الطلاق - أدب القاضي - الشروط - الغصب - الاستحقاق - الأفضية - الصلح - الحدود - الوليمة - الضحايا - الصدقات - خلاف مالك والشافعي - الاقرار بالحكم الظاهر - الأجناس - مسألة الجنين - وصية الشافعي - ذبائح بني إسرائيل - التفليس - الحوالة والكفالة - الفيء - العقول - الأولياء - كتاب الأم...



كان الشافعي يقول على غرار قول أبي العتاهية لو شئت لجعلت كل كلامي شعراً. كان ذا شاعرية وذا بديهة في الشعر ولكنه حين تحوّل إلى رياض العلوم الدينية عقل لسان شعره واقتصر على الأبيات والمقطوعات القصيرة يطلقها بين يدي آرائه ويجعلها كالأطواق في جيد آدابه.

لم تتباين الآراء حول شاعرية الشافعي كما تباينت بالقياس إلى شعر الإمام عليّ. ولا نكاد نجد شعراً منسوباً إليه بالكثرة التي عرفناها في ديوان الإمام علي^(١). إلا أن الرواة أثبتوا من شعره مقطوعات كثيرة أوردوها في ديوان الإمام عليّ مسبوقة بقولهم: «وينسب إلى الإمام عليّ». فإذا تركنا شعر المناسبات الذي يتصل غالباً بظروف حياة الشاعر وسيرته، فالشافعي لم يكثر من هذا اللون لأن سيرته كانت محدودة في إطار القضاء والحديث والافتاء. وهذا قدر ضئيل المساحة بالنظر إلى الأحداث الجسام التي رافقت حياة أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام وعهد خلافته.

لعلّ الفروق في الأسلوب والصور الشعرية والمعاني القائمة بين شعر الإمامين إنما مرّدها أحياناً تصميم الشافعي في فجر تحصيله العلمي على آداب العرب وأخبارهم وشعرهم وصحبته شعراء بني هذيل قرابة العقدين من الزمن فاكتسب بذلك

(١) أنظر تحقيقنا لديوان الامام عليّ عليه السلام، منشورات دار الأرقم بن أبي الأرقم.

قوة في التعبير وأناة في الأداء لكنه لم ينزلق إلى الخشونة ولم ينأ عن البيان . كان المبرّد يقول: كان الشافعي من أشعر الناس وأدب الناس» .

وذكر البيهقي - نقلاً عن الأصمعي - أنه قال: «صَحَّحت أشعار هذيل على فتي من قریش يقال له محمد بن إدريس الشافعي» .
وأكد مصعب الزبيري أن أباه والشافعي كثيراً ما تناشدا الشعر، وكان محمد بن إدريس يأتي على شعر بني هذيل حفظاً .

ولم يأخذ الأصمعي عن الشافعي شعر هذيل وحسب بل شعر الشنفرى أيضاً . ومن الأهمية بمكان الالتفات إلى هذه الظاهرة الهامة وهي أن إمام الشافعي بغريب الشعر لم يشدّه إلى الغموض والتعقيد اللفظي بل ربّما كان من دواعي حرصه على المعاني القريبة بأسهل سبل الأداء وأكثرها ملاءمة للذوق والسماع .

وشعر الشافعي مدين في جانب من جوانبه إلى إمامه الجيد باللغة حتى قال ابن هشام: «جالست الشافعي زماناً فما سمعته تكلم بكلمة إلا اعتبرها المعتر لا يجد في العربية أحسن منها، وقال كذلك: للشافعي لغة يحتج بها . وكانت لغته فتنة» .

إن السهولة والوضوح في شعر الشافعي عنوان بلاغة وليس مظهر ضعف أو تقصير لأنه كان يملك القدرة على الجزالة وكان يمارسها في النثر ليجعل شعره أعلق بالسنن الناس وأثبت في أذهانهم وأكثر سيرورة على الزمن .

ولم تكن أشعاره - الأبيات، أو المقطعات - من دلائل النفس الشعري المحدود أو القصير بل تجاوباً مع نزعته إلى شرف المعنى . فهو أقرب إلى بابي الخاطرة والحكمة كما ترى من موضوعاته وأبوابه التي تدور حول حكم القضاء والقدر والسماحة والمروءة وشجاعة الرأي وعظّة الأيام ومخالفة الأهواء والانصياع إلى منطق العقل وغلبة الحظوظ على البشر وعدم الاغترار بالدنيا، لأن لذائذها إلى زوال ونعمها إلى تبدّد وعدم . ويلامس شعر الشافعي بعض جوانب الوجدان دونما سطحية أو ابتذال يصرفانه عن مكانته في القضاء والفتوى وهو مقام يلزم صاحبه بالوقار ويفرض عليه أن يصون شعره من الإسفاف أو الخوض طويلاً في شؤون القلب ولهفة الشوق والصبابة . فإذا فعل فهو يحرص على حسن القصد كمثّل قوله:

أنت حَسبي وفيك للقلب حسب ولحسبي إن صحَّ لي فيكَ حَسْبُ
لا أبالي متى وداؤك لي صحَّ من الذَّهر ما تعرَّضَ خَطْبُ
ومرّد هذا الوجد المهدَّب في شعر الشافعي نفس عانقتها التقوى والصلاح وهو

القائل :

يُخاطِبُنِي السَّفِيهِ بِكُلِّ قُبْحٍ فَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبًا
يَزِيدُ سَفَاهَةً فَأَزِيدُ جِلْمًا كَعُودٍ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طَيْبًا
والشافعي يشدّد في شعره على الوفاء للاخوان ويدعو إلى الصبر على بلوى
الزمان مؤمناً بأن لا ثبات لحال أو استمرار لواقع أو أوان. ومن عناوين خواطره
اعتبار ما للصمت من فضيلة، والإيمان برحمة الله وعفوه، وإدراكه ما في النفس
البشرية من ميل إلى الشر وحب للغدر وولع بالشماتة وانفطار على النيمة والحسد،
ولذا حثّ على المكارم ودعا إلى التسامي فوق الدنّيا كما دعا إلى عدم التهافت أمام
المصائب والرزايا.



في اعتقادنا أنّ ما قاله محمد بن دريد في رثاء الشافعي يحيط إحاطة جيّدة
ليس فقط بروائع سيرته بل يعدّد أيضاً محامده ومحاور أدبه وشعره. قال ابن
دريد :

ألم تر آثار ابن إدريسَ بغدّه معالمُ يفنى الدهرُ وهي خوالدُ مناهجُ فيها للهدى مُتَصَرِّفُ ظواهرها حُكْمٌ ومستنبطانها لرأي ابن إدريسَ ابن عمّ محمدٍ إذا المُفْظِعَاتُ المشكلاتُ تشابهتُ أبى الله إلا رفَعَهُ وعُلُوّه تَوَخَّى الهدى واستنقذته يدُ التقى ولاذَ بآثارِ الرسولِ فحكمه وعوّلَ في أحكامِهِ وقضائِهِ تَسْرِبَلٌ بالتّقوى وليدًا وناشئًا وهُذَّبَ حتى لم تُشِرْ بفضيلةٍ فمن يكُ علمُ الشافعي إمامه	دلائلها في المشكلات لوامعُ وتنخفُضُ الأعلامُ وهي فوارعُ مواردُ فيها للرشادِ شرائعُ لما حكم التفريقُ فيه جوامعُ ضياءُ إذا ما أظلم الخطب ساطعُ سما منه نورٌ في دجَاهنَّ لامعُ وليسَ لما يُغْلِيهِ ذو العرشِ واضعُ من الزيغِ إنّ الزيغَ للمرءِ صارعُ لحكمِ رسولِ الله في الناسِ تابعُ على ما قضى في الوحي والحق ناصعُ وخصّ بلبّ الكهل مُذْ هو يافعُ إذا التمسّت إلاّ إليه الأصابعُ فمرتعه في ساحة العلم واسعُ
------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

سلامٌ على قبر تضمَّن جسمه وجادت عليه المُذجناتُ الهوامُ
لئن فجعتنا الحادثاتُ بشخصه لهنّ لما حُكمن فيه جوامُ
فأحكامه فينا بدورٌ زواهرُ وآثاره فينا نجوم طوالع^(١)

إنّ ديوان الإمام الشافعي الذي عنيّا بجمعه وتبويبه - تبعاً لحروف الهجاء وحركات الإعراب - والذي تناثرت أبياته ومقطعاته في مصادر شتى أدبية ولغوية وتاريخية... يشكل نموذجاً لشاعرية رجل الفقه والقضاء الذي التزم بأحكام الدين قرآناً وحديثاً. والشافعي من «مدرسة أصحاب الحديث»، لكنه وفق - مع ذلك - بين اتجاهه هذا واتجاه أصحاب مدرسة الرأي، منتصراً في الدرجة الأولى للقرآن والسنة. وشعره في مجمله ينهل من هذين ينبوعين الدافقين ومن سيرة الراشدين وكبار الصحابة والأئمة.

إن قارئنا الكريم يلاحظ ولا ريب عنايتنا بالتقديم للديوان وضبطه ضبطاً دقيقاً يساعد على كشف المعاني والدلالات اللفظية، كما حرصنا على إثبات الحواشي والتعليق عليها وتعيين مصادر الآراء والشواهد، التزاماً بنا بالمنهج العلمي في الشرح والتحقيق. وهكذا نلحق «ديوان الشافعي» بالدواوين التي حققناها بعناية داري القلم والأرقم بن الأرقم سائلين الله العون لاستكمال هذه السلسلة على النحو الأمثل الذي ننشده. والله نعم المولى ونعم النصير.

٢٠ محرم ١٤١٦

١٩ حزيران ١٩٩٥

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/٣٠٩).

ترجمة الشافعي

في «معجم الأدباء»، لياقوت الحموي

محمد بن إدريس الشافعي الإمام: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد.

وهاشم هذا الذي في نسب الشافعي ليس هو هاشم جد النبي ﷺ ذاك هاشم بن عبد مناف فهاشم هذا هو ابن أخي ذاك.

ولد فيما حكاه الشافعي عن نفسه أنه قال: ولدت بغزة سنة خمسين ومائة، وَحُمِلْتُ إلى مكة وأنا ابن سنتين، قال: وكانت أُمِّي من الأزد، وغزة من بيت المقدس على ثلاث مراحل.

وفي رواية أخرى عن الشافعي أنه قال: ولدت بعسقلان، وعسقلان من غزة على ثلاثة فراسخ، وكلاهما من فلسطين.

وكان مولد الشافعي يوم مات أبو حنيفة، ولا اختلاف في أن وفاة أبي حنيفة كانت سنة خمسين ومائة، ومات الشافعي رحمة الله عليه في رجب سنة أربع ومائتين وهو ابن أربع وخمسين سنة، وكان قدومه مصر سنة ثمان وتسعين ومائة.

وقد روى الزعفراني عن أبي عثمان ابن الشافعي أن الشافعي مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

وفي رواية أن الشافعي قال: ولدت باليمن فخافت أُمِّي عليَّ الضيعة فحملتني إلى مكة وأنا يومئذ ابن عشر أو شبیه بذلك، وتأول بعضهم قوله باليمن بأرض أهلها وسكانها قبائل اليمن. وبلاد غزة وعسقلان كلها من قبائل اليمن وبطونها. قلت:

وهذا عندي تأويلٌ حَسَنٌ إِنْ صَحَّت الرواية وإلا فلا شك أنه ولد بغزة وانتقل إلى عسقلان إلى أن ترعرع.

وأما طلبه للعلم فحدّث الزبير بن بكار عن عمّه مصعب بن عبد الله بن الزبير أنه خرج إلى اليمن فلقي محمد بن إدريس الشافعي وهو مستحصف^(١) في طلب الشعر والنحو والغريب، قال فقلت له: إلى كم هذا؟ لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك، وانصرفت به معي إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به؛ قال: وكان فتى حلواً، فما ترك عن مالك بن أنس إلا الأقل ولا عند شيخ من مشايخ المدينة إلا جمعه، ثم شخّص إلى العراق فانقطع إلى محمد بن الحسن فحمل عنه، ثم جاء إلى المدينة بعد سنين؛ قال: فخرجت به إلى مكة فكلمت له ابن داود وعرفته حاله الذي صار إليه، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

حدّث الآبري^(٢) وهو أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم الآبري السّجزي بن يحيى البصري ويحيى بن زكريا بن حيويه النيسابوري، كلاهما عن الربيع بن سليمان، وبعضهم يزيد على بعض في الحكاية، قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: كنت أنا في الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها أنا، ولقد كان الصبيان يكتبون أمليتهم^(٣) فإلى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم، قد حفظت جميع ما أُملي، فقال لي ذات يوم: ما يحل لي أن آخذ منك شيئاً. قال: ثم لما خرجت من الكتاب كنت أتلقت الخزف والرقوق^(٤) وكَرَبَ النخل وأكتاف الجمال أكتب فيها الحديث وأجيء إلى الدواوين فأستوهب منها الظهور فأكتب فيها حتى كانت لأمي حباب فملأتها أكتافاً وخزفاً وكرَباً مملوءة حديثاً. ثم إنني خرجت عن مكة^(٥) فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها وأخذ طبعها وكانت أفصح العرب. قال: فبقيت فيهم سبعَ عشرة سنة أرحلُ برحيلهم وأنزلُ بنزلهم، فلما رجعتُ إلى مكة جعلتُ أنشدُ الأشعار وأذكرُ الآداب والأخبار وأيام العرب، فمرَّ بي رجل من الزبيرين^(٦) من بني عمي فقال لي: يا أبا عبد الله عزَّ عليّ ألا يكونَ مع هذه اللغة

(١) م: مستحصف.

(٢) السند والرواية في البيهقي ١: ٩٤.

(٣) م: ولقد كنت يكتبون أمتهم.

(٤) م: والدقوف.

(٥) تكملة الرواية في البيهقي ١: ١٠٢.

(٦) في بعض أصول البيهقي كما ورد؛ وفي المتن: الزهريين.

وهذه الفصاحة والذكاء فقه فتكون قد سدت أهل زمانك، فقلت: فمن بقي ممن يُقصد^(١)؟ فقال لي: مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ، قال: فوق - ذلك - في قلبي فعمدت إلى «الموطأ» فاستعرت من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهراً، قال: ثم دخلت إلى والي مكة وأخذت كتابه إلى والي المدينة وإلى مالك بن أنس، قال: فقدمت المدينة فأبلغت الكتاب إلى الوالي، فلما أن قرأ قال: يا فتى إن مشي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهون علي من المشي إلى باب مالك بن أنس، فلسْتُ أرى الذل حتى أقف على بابه، فقلت: أصلح الله الأمير إن رأى الأمير يوجه إليه ليحضر، قال: هيهات، ليت أني إذا ركبُت أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق لننا بعض حاجتنا؛ قال: فواعذته العصر، وركبنا جميعاً فوالله كان كما قال: لقد أصابنا من تراب العقيق، قال: فتقدم رجل الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير: قولي لمولاك إني بالباب، قال: فدخلت فأبطأت ثم خرجت فقالت: إن مولاي يقرئك السلام ويقول: إن كانت مسألة فارفعها في رقعة يخرج إليك الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف، فقال لها: قولي له إن معي كتاب والي مكة إليه في حاجة مهمة، قال: فدخلت وخرجت وفي يدها كرسي فوضعت، ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار، وهو شيخ طويل مسنون اللحية، فجلس وهو متطلس، فرفع إليه الوالي الكتاب فبلغ إلى هذا: «إن هذا رجل من أمره وحاله، فتحدثه وتفعل وتصنع». فرمي بالكتاب من يده ثم قال: سبحان الله، وصار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوسائل^(٢)؟ قال: فرأيت الوالي وقد تهيبه أن يكلمه، فتقدمت إليه وقلت: أصلحك الله، إني رجل مطلبٌ ومن حالي وقصتي، فلما أن سمع كلامي نظر إلي ساعة، وكانت لمالك فراسة فقال لي: ما أسمك؟ فلما أن سمع كلامي نظر إلي ساعة، وكانت لمالك فراسة فقال لي: ما أسمك؟ قلت: محمد، فقال لي: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن من الشأن، ثم قال: نعم وكرامة، إذا كان غداً تجيء ويجيء من يقرأ لك، قال فقلت: أنا أقوم بالقراءة، قال: فغدوت عليه وابتدأت أن أقرأه ظاهراً والكتاب في يدي، فكلما تهيبت مالكا وأردت أن أقطع أعجبه حسنُ قراءتي وإعرابي فيقول: يا فتى زد، حتى قرأته في أيام يسيرة.

ثم أقمت بالمدينة حتى توفي مالك بن أنس، ثم خرجت إلى اليمن فارتفع لي

(٢) قد تقرأ: بالوسائل.

(١) م: بقي نقصد.

بها الشأن، وكان بها والٍ من قبل الرشيد وكان ظلوماً غشوماً وكنت ربما آخذ على يديه وأمنعه من الظلم. قال: وكان باليمن تسة من العلوية قد تحركوا. فكتب الوالي إلى الخليفة يقول: إن ناساً من العلوية قد تحركوا^(١). وإني أخاف أن يخرجوا وإن ها هنا رجلاً من ولد شافع المطلبي لا أمر لي معه ولا نهى. قال: فكتب إليه هارون أن أحمل هؤلاء واحمل الشافعي معهم فقرنت معهم؛ قال: فلما قدمنا على هارون الرشيد أدخلنا عليه وعنده محمد بن الحسن، قال: فدعا هارون بالنطع والسيف وضرب رقاب العلوية ثم التفت محمد بن الحسن فقال: يا أمير المؤمنين هذا المطلبي لا يغلبك بفصاحته فإنه رجل لسن، فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين فإنك الداعي وأنا المدعو، وأنت القادر على ما تريد مني ولستُ القادر على ما أريده منك، يا أمير المؤمنين ما تقول في رجلين أحدهما يراني أخاه والآخر يراني عبده أيهما أحب إلي؟ قال: الذي يراك أخاه، قال قلت: فذاك أنت يا أمير المؤمنين، قال فقال لي: كيف ذاك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إنكم ولد العباس وهم ولد علي، ونحن بنو المطلب، فأنتم ولد العباس ترونا إخوانكم وهم يرونا عبيدهم، قال: فُسِّرِي ما كان به، فاستوى جالساً فقال^(٢): يا ابن إدريس كيف علمك بالقرآن؟ قلت: عن أي علومه تسألني؟ عن حفظه فقد حفظته ووعيته بين جنبي وعرفت وَقْفَهُ وابتدأه وناسخه ومنسوخه وليلته ونهاريته ووحشيته وإنسيته وما خوطب به العام يراد به الخاص وما خوطب به الخاص يراد به العام؛ فقال لي: والله يا ابن إدريس لقد ادَّعيتَ علماً فكيف علمك بالنجوم؟ فقلت: إني لأعرف منها البري من البحري والسهلي والجبلي والفيلق والمصبح وما تجب معرفته، قال: فكيف علمك بأنساب العرب؟ قال فقلت: إني لأعرف أنساب اللثام وأنساب الكرام ونسبي ونسب أمير المؤمنين، قال: لقد ادَّعيتَ علماً، فهل من موعظة تعظُ بها أمير المؤمنين؟ قال: فذكرت موعظةً لطاوس اليماني^(٣) فوعظته بها فبكى وأمر لي بخمسين ألفاً. وحملت على فرس، وركبت من بين يديه وخرجت، فما وصلت الباب حتى فرقت الخمسين ألفاً على حُجَّاب أمير المؤمنين وبوابيه، قال: فلحقني هرثمة وكان صاحب هارون فقال: اقبل هذه مني، قال فقلت له: إني لا آخذ العطية ممَّن هو دوني وإنما آخذها ممن هو فوقي، قال: فوجد في نفسه، قال: وخرجتُ كما أنا حتى جئت منزلي، فوجهت إلى كاتب محمد

(١) زيادة يقتضيه السياق.

(٢) قارن باليهقي ١: ١٣٢.

(٣) جعل اليهقي الموعظة للشافعي نفسه وأورد نصها.

بن الحسن بمائة دينار وقلت: اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وأنسخها لي ووجه بها إليّ، قال: فَكُتِبَتْ لي وَوُجِّهَ بها إليّ.

قال: اجتمعنا أنا ومحمد بن الحسن على باب هارون، وكان يجلس فيه القضاة والأشراف ووجوه الناس إلى أن يؤذن لهم، قال: واجتمعنا في ذلك المكان، قال: وفيه جماعة من بني هاشم وقريش والأنصار والخلق يعظمون محمد بن الحسن لقربه من أمير المؤمنين وتمكنه، قال: فاندفع يعرض بي ويذم أهل المدينة، فقال: مَنْ أهل المدينة؟ وأي شيء يحسن أهل المدينة والله لقد وضعت كتاباً على أهل المدينة كلها لا يخالفني فيه أحد، ولو علمت أن أحداً يخالفني في كتابي هذا تبلغني إليه آباط الإبل لصرت حتى أُرَدَّ عليه، قال الشافعي: فقلت إن أنا سكْتُ نكسْتُ رؤوس من ها هنا من قريش، وإن أنا رددت عليه أسخطت عليّ السلطان، ثم إني استخرت الله في الردّ عليه، فتقدمت إليه فقلت: أصلحك الله، طعنك على أهل المدينة وذمك لأهل المدينة إن كنت أردت رجلاً واحداً وهو مالك شبن أنس فألاً ذكرت ذلك الرجل بعينه ولم تطعن على أهل حرم الله وحرم رسوله، وكلهم على خلاف ما ادعيت. وأما كتابك الذي ذكرت أنك وضعت على أهل المدينة فكتابك من بعد بسم الله الرحمن الرحيم خطأ إلى آخره: قلت في مسألة كذا وكذا كذا وهو خطأ، فاصفر محمد بن الحسن ولم يجر جواباً. وكتب أصحاب الأخبار إلى الرشيد بما كان، فضحك وقال: ماذا ننكر لرجل من ولد المطلب أن يقطع مثل محمد بن الحسن. قال فعارضني رجل من أهل المجلس من أصحابه فقال: ما تقول في رجل دخل منزل رجل فرأى بطةً ففقا عينها وماذا يجب عليه؟ قال قلت: ينظر إلى قيمتها وهي صحيحة وقيمتها وقد ذهبت عينها فيقوم ما بين القيمتين. ولكن ما تقول أنا وصاحبك في رجل محرم نظر إلى فرج امرأة فأنزل؟ قال: ولم يكن لمحمد حذاقة بالمناسك، قال فصاح به محمد وقال له: ألم أقل لك لا تسأله؟ قال: ثم أدخلنا على الرشيد، فلما أن استوينا بين يديه قال لي يا أبا عبد الله تسأل أو أسأل؟ قال قلت: ذاك إليك، قال: فأخبرني عن صلاة الخوف أواجبة هي^(١)؟ قلت: نعم، فقال: ولم؟ فقلت: لقول الله عز وجل: ﴿إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢] فدل أنها واجبة. فقال: وما تنكر من قائل قال لك إنما أمر الله تعالى نبيه ﷺ وهو فيهم، فلما زال عنهم النبي ﷺ زالت تلك الصلاة، فقلت: وكذلك قال الله عز وجل لنبيه ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] فلما أن

(١) قارن بالبيهقي ١: ١٢٨.

زال عنهم النبي ﷺ زالت عنهم الصدقة. فقال: لا، قلت: وما الفرق بينهما والنبي ﷺ هو المأمور بهما جميعاً؟ قال: فسكت ثم قال: يا أهل المدينة ما أجرأكم على كتاب الله، فقلت: الأجرأ على كتاب الله من خالفه، قال فقد قال الله عز وجل ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوْنِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [الطلاق: ٢] فقلت: أنتم: نقضي باليمن مع الشاهد، فقلت: لكننا نقول بما قال الله ونقضي بما قضى به رسول الله ﷺ، ولكنك أنت إذا خالفت قضاء رسول الله ﷺ فقد خالفت كتاب الله. قال: وأين لكم ردُّ اليمين؟ قال قلت: سنة رسول الله ﷺ، قال: وأين؟ قلت: قصة حويصة ومحيصة وعبد الرحمن حين قال لهم رسول الله ﷺ في قصة القتيل تحلفون وتستحقون دمَ صاحبكم، قالوا: لم نشهد ولم نعاين؟ قال: فيحلف لكم يهود، فلما أن نكلوا ردُّ اليمين إلى اليهود. قال فقال لي: إنما كان ذلك استفهاماً من رسول الله ﷺ، قال فقلت: يا أمير المؤمنين هذا بحضرتك يزعم أن رسول الله ﷺ يستفهم من اليهود، فقال الرشيد: ثكلتك أمك يا ابن الحسن، رسول الله ﷺ يستفهم من اليهود؟ نطعٌ وسيفٌ، قال فلما رأيت الجدَّ من أمير المؤمنين قلت: مهلاً يا أمير المؤمنين فإن الخصمين إذا اجتمعوا تكلم كل واحد منهما بما لا يعتقده ليقطع به صاحبه وما أرى أن محمداً يرى نقصاً لرسول الله ﷺ، قال: فسريتُ عنه، قال: ثم ركبنا جميعاً وخرجنا من الدار، قال فقال لي: يا أبا عبد الله فعلتها؟ قال: فقلت: فكيف رأيتها بعد ذلك؟

وللشافعي رضي الله عنه مع محمد بن الحسن مناظرات في عدة مواطن اقتصرنا على هذه قصداً للاختصار.

مناظرة إسحاق بن راهويه^(١) مع الشافعي رضي الله عنه:

نقلت من «تاريخ نيسابور» للحاكم ومن «كتاب مناقب الشافعي» للأبري وجمعتُ بين الخبرين قصداً للاختصار مع نسبة كل قول إلى قائله^(٢): حدث الأبري بإسناده، قال إسحاق بن راهويه: كنا عند سفيان بن عيينة نكتب أحاديث عمرو بن دينار، فجاءني أحمد بن حنبل فقال لي: يا أبا يعقوب قم حتى أريك رجلاً لم تر عيناك مثله، قال: فقممت فأتى بي فناء زمزم، فإذا هناك رجل عليه ثياب بيض، تعلو وجهه السمرة، حسن السميت حسن العقل، وأجلسني إلى جانبه، فقال له: يا أبا عبد

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ابن راهويه، انظر طبقات السبكي ٢: ٨٣ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى.

(٢) انظر طبقات السبكي ٢: ٨٩ في هذه المناظرة، وقارن بمناقب البيهقي ١: ٢١٣ وقال البيهقي ١: ٢١٤ قد ذكرنا حكاية مناظرتهم في كتاب المعرفة أتم من هذا.

الله هذا إسحاق بن راهويه الحنظلي فرحّب بي وحيّاني، فذاكرته وذاكرني فانفجر لي منه علم وأعجبه حفظي، قال: فلما أن طال مجلسنا قلت له: يا أبا عبد الله قم بنا إلى الرجل، قال: هذا هو الرجل، فقلت له: يا سبحان الله أقمنا من عند رجل يقول «حدثنا الزهري» فما توهمت إلا أن تأتي بنا إلى رجل مثل الزهري أو قريباً منه، فأتيت بنا إلى هذا الشاب (أو هذا الحديث)^(١). فقال لي: يا أبا يعقوب اقتبس من الرجل فإنه ما رأيت عينا مثله. قال الآبري، قال إسحاق: فسألته عن سُكْنَى بِيوت مكة (أراد الكرى) فقال جائز. فقلت: أي يرحمك الله، وجعلتُ أذكر له الحديث عن عائشة وعبد الرحمن وعمر وأصحاب رسول الله ﷺ ومن كره كرى بيوت مكة، وهو ساكتٌ يسمع، وأنا أسردُ عليه، فلما فرغتُ سكتَ ساعة وقال: أي يرحمك الله، أما علمت أن النبي ﷺ قال: هل ترك لنا عقيلٌ من ربيع أو دار، قال: فوالله ما فهمت عنه ما أراد بها ولا أرى أن أحداً فهمه. (قال الحاكم) فقال إسحاق: أتأذن لي في الكلام؟ فقال: نعم فقلت: حدثنا يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن أنه لم يكن يرى ذلك، وأخبرنا أبو نعيم وغيره عن سفيان عن منصور عن إبراهيم أنه لم يكن يرى ذلك. (قال الحاكم) ولم يكن الشافعي عرف إسحاق فقال الشافعي لبعض من عرفه: من هذا؟ فقال: هذا إسحاق بن إبراهيم بن الحنظلي بن راهويه الخراساني، فقال له الشافعي: أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيههم؟ قال إسحاق: هكذا يزعمون، قال الشافعي: ما أحوجني أن يكونَ غيرك في موضعك فكنْتُ أمرَ بَعْرِكَ أذنيه.

وقال الحاكم في خبر آخر: قال له الشافعي لو قلتُ قولك احتجتُ إلى أن أسلسل، أنا أقول لك «قال رسول الله ﷺ» وأنت تقول «عطاء وطاوس ومنصور وإبراهيم والحسن وهؤلاء لا يرون ذلك» بل [ليس] لأحد مع رسول الله ﷺ حجة. قال إسحاق لبعض من معه من المراززة بلسانهم «مَرَدُّكَ لَا كَمَا لَا نَيْسَتْ»^(٢) قرية عندهم بمرور يدعون العلم وليس لهم علمٌ واسع.

وقال الآبري قال إسحاق لبعض من معه: الرجل مالكاني، ومالكان قرية من قرى مرو أهلها فيهم سلامة.

قال الحاكم في خبره، فلما سمع الشافعي تراطنه علم أنه قد نسبه إلى شيء

(١) م: الحديث.

(٢) يعني: الرجل من أهل قرية «لاكمالان» وانظر معجم البلدان.

فقال: تناظر؟ وكان إسحاق جريئاً فقال: ما جئت إلا للمناظرة، فقال له الشافعي: قال الله عز وجل ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ الآية [الحشر: ٨] نسب الدار إلى المالكين أو إلى غير المالكين؟ قال إسحاق: إلى المالكين، قال الشافعي: فقله عز وجل أصدق الأقاويل، وقد قال رسول الله ﷺ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابهُ فهو آمن، أنسب رسول الله ﷺ الدار إلى مالك أو إلى غير مالك؟ قال إسحاق: إلى مالك، فقال الشافعي: وقد اشترى عمر بن الخطاب دور مكة وجماعة باعوها، وقال إسحاق له: قال الله عز وجل ﴿سَوَاءُ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥] فقال الشافعي: اقرأ أول الآية، قال ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥] قال الأبري، قال الشافعي: والعكوف يكون في المسجد، ألا ترى إلى قوله ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥] والعاكفون يكونون في المساجد، ألا ترى إلى قوله تعالى جل وعز وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ فدل قوله عز وجل سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ في المسجد خاص، فأما من ملك شيئاً فله أن يكرى وأن يبيع. (قال الحاكم) وقال الشافعي: ولو كان كما تزعم لكان لا يجوز أن تُنشَد فيها ضالة، ولا ينحر فيها البدن، ولا تنثر فيه الأرواث، ولكن هذا في المسجد خاصة. قال: فسكت إسحاق ولم يتكلم.

وفي خبر الأبري: فلما تدبرت ما قال من قول رسول الله ﷺ: هل ترك لنا عقيل من رباع أو دار علمت أنه قد فهم ما ذهب عنا؛ قال إسحاق: ولو كنت قد أدركني هذا الفهم وأنا بحضرته لعرفته ذاك، ثم نظرنا في كتبه فوجدنا الرجل من علماء هذه الأمة.

قال الأبري: وقرأت في بعض ما حكى عن أبي الحسن أنه كان يأخذ بلحيته في يده ويقول: وإحيائي من محمد بن إدريس الشافعي، يعني في هذه المسألة.

ومن كتاب الحاكم: سمعت أبا بكر محمد بن علي بن إسماعيل الفقيه الأديب الشاشي أبا بكر القفال إمام عصره بما وراء النهر للشافعيين يقول: دخلت على أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة أول ما قدمت نيسابور، وتكلمت بين يديه وأنا شاب حدث السن، فقال لي: من أين أنت؟ فقلت: من أهل الشاش، قال لي: إلى من اختلفت؟ قلت: إلى أبي الليث، قال: وأبو الليث هذا أي مذهب يعتقد؟ قلت: حنبلي، فقال: يا بني قل شافعي وهل كان أحمد بن حنبل إلا غلاماً من غلمان الشافعي؟ قال: ومات أبو بكر القفال بالشاش في ذي الحجة سنة خمس وستين وثلاثمائة.

ومن كتاب الأبري: حدثني محمد بن عبد الله الرازي، حدثنا الحسن بن حبيب الدمشقي عن محمود المصري، وكان من أفصح الناس، قال: سمعت ابن هشام (قال محمود: وما رأيت بعيني ممن فهمت عنه مثل ابن هشام) قال محمود: ورأيت الشافعي وأنا صغير، قال محمود، وسمعت ابن هشام يقول^(١): جالست الشافعي زماناً فما سمعته تكلم بكلمة إذا اعتبرها المعبر لا يجد كلمة في العربية أحسن منها. قال^(٢) وسمعت ابن هشام يقول: الشافعي كلامه لغة يُحتَجُّ بها.

وحدث عن الحسن بن محمد الزعفراني قال: كان قوم من أهل العربية يختلفون إلى مجلس الشافعي معنا ويجلسون ناحية، قال فقلت لرجل من رؤسائهم: إنكم لا تتعاطون العلم فلم تختلفون معنا؟ قالوا: نسمع لغة الشافعي؛ قال: وسمعت أبا علي الحسين بن أحمد البيهقي الفقيه ببغداد قال: سمعت حسان بن محمد يحكي عن الأصمعي أنه قال^(٣): صححت أشعار هذيل على فتى من قریش يقال له محمد بن إدريس الشافعي. قال^(٤): وحكي لنا عن مصعب الزبيري قال: كان أبي والشافعي يتناشدان، فأتى الشافعي على شعر هذيل حفظاً وقال: لا تُعلم بهذا أحداً من أهل الحديث فإنهم لا يحتملون هذا.

قال الشافعي رضي الله عنه، قال: ما رأيت أحداً أعلم بهذا الشأن مني وقد كنت أحب أن أرى الخليل بن أحمد.

وحدث ابن خزيمة قال، سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: كان الشافعي إذا أخذ في العربية قلت: هو بهذا أعلم، وإذا تكلم في الشعر وإنشاده قلت: هو بهذا أعلم، وإذا تكلم في الفقه قلت: هو بهذا أعلم.

وتحدث ابن عيينة^(٥) بحديث عن النبي ﷺ أقرؤوا الطير في مكنتها، قال: وكان الشافعي إلى جنب ابن عيينة، فالتفت إليه سفيان فقال: يا أبا عبد الله ما معنى قول النبي ﷺ أقرؤوا الطير على مكنتها، فقال الشافعي: إن علم العرب كان في زجر الطير والخط والاعتياف، كان أحدهم إذا غدا من منزله يريد أمراً نظراً أول طير يراه فإن سنح عن يساره فاجتاز عن يمينه قال هذا طير الأيا من فمضى في حاجته ورأى أنه يستنجحها، وإن سنح عن يمينه فمر عن يساره قال هذا طير الأشائم فرجع. وقال

(١) مناقب البيهقي ٢: ٤٣.

(٢) المصدر السابق: ٤٦.

(٣) حلية الأولياء ٩: ٩٤، ٩٥.

(٤) المصدر السابق: ٤٢.

(٥) مناقب البيهقي ٢: ٤٤.

هذه حالة مشئومة، فيشبه قول رسول الله ﷺ أقروا الطير على مكناها أي لا تهيجوها فإن تهيجها وما تعملون به من الطيرة لا يصنع شيئاً وإنما يصنع فيما توجهون فيه قضاء الله عز وجل. قال وكان سفیان يفسره بعد ذلك على ما قال الشافعي:

وحدث الأبري حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الرقي إملاءً، قال حدثنا عبد الواحد بن سعيد عن صالح بن أحمد قال: جاء الشافعي يوماً إلى أبي يعوده، وكان عليلاً، فوثب أبي إليه فقبل ما بين عينيه ثم أجلسه في مكانه، وجلس بين يديه، قال: فجعل يسأله ساعةً، فلما وثب الشافعي ليركب قام أبي فأخذ بركابه ومشى معه، فبلغ يحيى بن معين، فوجه إلى أبي يا أبا عبد الله يا سبحان الله اضطرّك الأمر إلى أن تمشي إلى جانب بغلة الشافعي؟! فقال له أبي: وأنت يا أبا زكريا لو مشيت من الجانب الآخر لانتفعت به. قال ثم قال أبي: من أراد الفقه فليشمّ ذنب هذه البغلة.

وفي رواية أخرى عن أحمد بن حنبل أنه قال: قدم علينا نعيم بن حماد فحضنا على طلب المسند، فلما قدم الشافعي وضعنا على المحجة البيضاء.

ورواية أخرى عن حميد بن الربيع الخراز قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما أعلم أحداً أعظم منةً على الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي، وإنني لأدعو الله له في أدبار صلواتي فأقول: اللهم اغفر لي ولوالدي وللمحمد بن إدريس الشافعي.

وحدث الحارث بن محمد الأموي عن أبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي قال: كنت من أصحاب محمد بن الحسن، فلما قدم الشافعي علينا جثته إلى مجلسه شبه المستهزئ فسألته عن مسألة من الدور فلم يجبني وقال لي: كيف ترفع يديك في الصلاة؟ قلت: هكذا، قال لي: أخطأت، فقلت: كيف أصنع؟ فقال: حدثني ابن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبي ﷺ كان يرفع يديه حذو منكبيه وإذا ركع وإذا رفع. قال أبو ثور: فلما كان بعد شهر قال: يا أبا ثور خذ مسألتك في الدور فإنما منعي أن أجيبك يومئذ لأنك كنت متعتاً.

وحدث المزني وهو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله عز وجل ذكره وارداً، ولا والله ما أدري روعي تصير إلى الجنة أو إلى النار فأعزبها، ثم بكى وأنشأ يقول^(١):

(١) ديوانه (الزعيبي): ٧٨ (يكن): ١٦٠.

فلما قسا قلبي وضائق مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منةً وتكرماً
فلولاك لم يقدر بابليس عابد فكيف وقد أغوى صفيك آدماء
وحدث الربيع بن سليمان قال: كان الشافعي رحمه الله يجلس في حلقة إذا
صلّى الصبح فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث
فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة
والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا
يزالون إلى قرب انتصاف النهار ثم ينصرف رضي الله عنه.

وحدث يونس بن عبد الأعلى الصديقي قال، قال لي الشافعي رضي الله عنه: يا
أبا موسى رضي الناس غاية لا تدرك، ما أقوله لك إلا نصحاً ليس إلى السلامة من
الناس سبيل، فانظر ما فيه صلاح نفسك فألزمه ودع الناس وما هم فيه.

وحدث الحسن بن محمد الزعفراني قال^(١): كنا نحضر مجلس بشر المريسي
فكنا لا نقدر على مناظرته، فمشينا إلى أحمد بن حنبل فقلنا له: أئذن لنا في أن
نحفظ «الجامع الصغير» الذي لأبي حنيفة نخوض معهم إذا خاضوا، فقال: اصبروا
فالآن يقدم عليكم المطليبي الذي رأيته بمكة، قال: فقدم علينا الشافعي، فمشوا^(٢)
إليه وسألناه شيئاً من كتبه فأعطانا كتاب اليمين مع الشاهد، فدرسته في ليلتين ثم
غدوت على بشر المريسي وتخطيت إليه، فلما رأيته قال: ما جاء بك؟ لست^(٣)
صاحب حديث، قال قلت: ذرني من هذا، أيش الدليل على إبطال اليمين مع
الشاهد؟ فناظرته فقطعته، فقال: ليس هذا من كيسكم، هذا من كلام رجل رأيته بمكة
معه نصف عقل أهل الدنيا.

وحدث الربيع بن سليمان قال^(٤): كنا عند الشافعي إذ جاءه رجل برقعة فنظر
فيها وتبسم، ثم كتب فيها ودفعها إليه، قال فقلنا: يُسأل الشافعي عن مسألة لا ننظر
فيها وفي جوابها؟ فلحقنا الرجل وأخذنا الرقعة فقرأناها وإذا فيها:

سل المفتي المكي هل في تزاور وضمة مشتاق جناح

(٣) م: يا.

(١) مناقب البيهقي ١: ٢٠١.

(٤) مناقب البيهقي ٢: ٩٤.

(٢) البيهقي: فمشينا.

قال وإذا اجابة أسفل من ذلك :

أقول معاذ الله أن يُذهَبَ التقى تَلَاَصُقُ أَكْبَادٍ بِهِنَ جَرَاخٍ
قرآن في أمالٍ أملها أبو سليمان الخطابي على بعض تلامذته : قال الشيخ^(١) :
كان الشافعي رحمه الله يوماً من أيام الجمع جالساً للنظر فجاءت امرأة فألقت إليه
رقعة فيها :

عفا الله عن عبدٍ أعان بدعوة خليلين كانا دائمين على الودِّ
إلى أن مشى واشي الهوى بنميمةٍ إلى ذاك من هذا فزالا عن العهدِ
قال : فبكى الشافعي رحمه الله وقال : ليس هذا يوم نظر ، هذا يوم دعاء ، ولم
يزل يقول ، اللهم اللهم حتى تفرق أصحابه .

ومثله ما بلغني أن رجلاً جاءه برقعة فيها :

سل المفتي المكي من آل هاشم إذا اشتدَّ وجدٌ بامرئٍ كيف يصنعُ
قال فكتب الشافعي تحته :

يداوي هواه ثم يكتُمُ وجدهُ ويصبرُ في كلِّ الأمورِ ويخضعُ
فأخذها صاحبها وذهب بها ثم جاءه وقد كتب تحت هذا البيت الذي هو
الجواب :

فكيف يداوي والهوى قائلُ الفتى وفي كلِّ ينومِ غُصَّةً يتجرَّعُ
فكتب الشافعي رحمه الله :

فإن هو لم يصبرُ على ما أصابه فإن هو لم يصبرُ على ما أصابه
ويروى للشافعي رحمه الله^(٢) :

أنثر درًا بين سارحةٍ بهم وأنظُمُ منشوراً لرعاية الغنمِ
لعمري لئن ضيَّعتُ في شرِّ بلدةٍ فلستُ مضيعاً فيهمُ غرَرَ الكلمِ
لئن سهَّلَ الله العزيزُ بلطفه وصادفتُ أهلاً للعلمِ وللحكمِ
بثثتُ مفيداً واستفدتُ ودادهم إلا فمكنونٌ لديٍّ ومكتتم

(١) قارن بمناتب البيهقي ٢ : ٩٩ .

(٢) ديوانه (الزعيبي) : ٧٥ (يكن) : ١٥٥ (باختلاف في الرواية) : ١٩٢ .

ومن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم
وله رضي الله عنه في تعزية^(١):

إني أعزيك لا أني على طمع من الخلود ولكن سئة الدين
فما المعزي بباقي بعد صاحبه ولا المعزي وإن عاشا إلى حين
وحدث بإسناد رفعه إلى ابن عمر الشافعي قال: كان لأبي عبد الله الشافعي
امراة يحبها فقال^(٢):

أليس شديداً إن تح ب ولا يحبك من تحبة
ويصد عنك بوجهه وتلج أنت فلا تغبة
وحدث الآبري بإسناد إلى المزني عن الشافعي قال: كنا في سفر بأرض
اليمن، فوضعنا سفرتنا لتتعشى وحضرت صلاة المغرب، فقلنا: نصلي ثم نتعشى،
فتركنا سفرتنا كما هي، وكان في السفرة دجاجتان، فجاء ثعلب فأخذ إحدى
الدجاجتين، فلما قضينا صلاتنا أسفنا عليها وقلنا، حرمتنا طعمنا، فبينما نحن كذلك إذ
جاء الثعلب وفي فيه شيء كأنه الدجاجة فوضعه، فبادرنا إليه لنأخذه، ونحن نحسبه
الدجاجة قد رذها، فلما قمنا لخلاصها فإذا هو قد جاء إلى الأخرى فأخذها من
السفرة، وأصبنا الذي قمنا إليه لنأخذه ليفه قد هيأها مثل الدجاجة.

وحدث الحسن بن الزعفراني قال: سئل الشافعي عن مسألة فأجاب فيها ثم
أنشأ يقول^(٣):

إذا المشكلات تصدين لي كشفت حقائقها بالنظر
لسان كشقة الأرحبي أو كالحسام اليماني الذكر
ولست بإمعة في الرجال أسائل هذا وذا ما الخبز
ولكنني مذرّة الأصغري بن جلاب خير وفراج شر
وحدث الربيع بين سليمان قال: لما دخل الشافعي مصر أول قدومه إليها جفاه
الناس فلم يجلس إليه أحد، قال فقال له بعض من قدم معه: لو قلت شيئاً يجتمع

(١) ديوانه (الزعي): ٨٧ (يكن): ١٧٨.

(٢) ديوانه: ٢٤.

(٣) ديوانه: ١٨٩، ١٠١/٤٨.

إليك الناس، فقال فقال: إليك عني وأنشأ يقول:

أنشر درأ بين سارحة النعم وأنظم منشوراً لراعية الغنم
الأبيات التي مرت آنفاً.

وجرى بين الشافعي وبين بعض من صحبه مَجَانَّةً فقال^(١):

وأنزلني طول النوى دارَ غربةٍ إذا شئتُ لاقيتُ امرءاً لا أشاكِلُهُ
أحامقه حتى يقالَ سجيّةٌ ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقله
وحذث الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول^(٢):

يا راكباً قف بالمحصب من منى واهتف بقاعدٍ خيفها والناهض
سَحراً إذا فاض الحجيحُ إلى منى فيضاً كملتطمِ الفرات الفاض
إن كان رفضاً حبّ آلِ محمدٍ فليشهد الثقلان أني رافضي
ومن كتاب الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي بإسناده إلى الربيع بن
سليمان قال: سمعتُ الشافعي، وسأله رجل عن مسألة، فقال^(٣) يروى عن النبي ﷺ
أنه قال كذا وكذا، فقال له السائل: يا أبا عبد الله أتقول بهذا؟ فارتعد الشافعي واصفرَّ
لونه وحال وتغير وقال: ويحك أي أرض تقلّني وأي سماء تظلّني إذا رويْتُ عن
رسول الله ولم أقلْ به؟ نعم على الرأس والعينين.

قال^(٤): وسمعت الشافعي يقول: ما من أحدٍ إلا وتذهب عنه سُنّة لرسول الله
ﷺ وتعزُبُ عنه، فمهما قلتُ من قولٍ أو أصلٍ من أصلٍ فيه عن رسول الله ﷺ
خلافٌ ما قلتُ فالقولُ ما قال رسول الله ﷺ، وهو قولِي، وجعل يردد هذا الكلام.

وبإسناده عن أحمد بن حنبل أنه قال لعبد الملك بن عبد الحميد الميموني^(٥):
مالك لا تنظر في كتب الشافعي فما من أحد وضع الكتب حتى ظهرت أتبع للسنة من
الشافعي رضي الله عنه.

وبإسناده إلى أبي عثمان المازني قال^(٦): سمعت الأصمعي يقول: قرأتُ شعرَ

(١) ديوانه: ٧٣ (وهذا مما تمثل به وليس من شعره، وقافيته مغيرة: أواقفه/أحامقه).

(٢) البيهقي ٢: ٧١.

(٣) البيهقي ١: ٢٦١.

(٤) البيهقي ١: ٤٧٥.

(٥) البيهقي ٢: ٤٧.

(٦) البيهقي ١: ٤٧٥.

الشنفرى على الشافعي بمكة، قال زكريا بن يحيى الساجي: فذكرت ذلك للرياشي فقال: ما أنكره، قرأتها على الأصمعي فقال: أنشدنيها رجل من قريش بمكة.

وبإسناده إلى عبد الرحمن بن أخي الأصمعي قال^(١): قلت لعمي: يا عمّاه على من قرأت شعر هذيل؟ فقال على رجل من آل المطلب يقال له محمد بن إدريس. وحدث الصولي عن المبرد إنه قال^(٢): كان الشافعي من أشعر الناس وآدب الناس وأعرفهم بالقراءات.

وبإسناده^(٣) إلى عبد الملك بن هشام النحوي صاحب كتاب «المغازي» أنه قال: طالت مجالستنا للشافعي فما سمعت منه لحنه قط ولا كلمة غيرها أحسن منها.

وبإسناده إلى جبير بن مطعم قال^(٤): لما قسم رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى من خير على بني هاشم وبني المطلب مشيت أنا وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا يُنكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم، أرأيت إخوتنا من بني المطلب أعطيتهم وتركنا وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة، فقال: إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام، إنما بنو هاشم وبني المطلب شيء واحد، ثم شبك رسول الله ﷺ إحداهما بالأخرى، أخرجه البخاري في الصحيح. وهذا لأن عبد مناف كان له أربعة أولاد: هاشم والمطلب وعبد شمس جد بني أمية ونوفل، وكان جبير بن مطعم من بني نوفل وعثمان من بني عبد شمس وهما أخو المطلب.

وبإسناده^(٥) إلى الحارث بن سريج النقال قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: أنا أدعو الله للشافعي أخضه به.

وبإسناده^(٦): كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن ويجمع قبول الأخبار فيه وحجة الاجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن فوضع له كتاب الرسالة. قال عبد الرحمن: ما أصلي صلاة إلا وأدعو للشافعي فيها.

وبإسناده: قال أحمد بن حنبل: كان الفقه قفلاً على أهله حتى فتحه الله بالشافعي.

(١) البيهقي ٢: ٤٤. (٤) البيهقي ١: ٤٠ وانظر صحيح البخاري (مناقب قريش ٦: ٣٨٩).

(٢) البيهقي ٢: ٤٨. (٥) البيهقي ٢: ١٤٣.

(٣) البيهقي ٢: ٤٣. (٦) البيهقي ٢: ٢٤٤.

وبإسناده: قال إبراهيم الحربي: سئل أحمد بن حنبل عن مالك بن أنس فقال: حديث صحيح ورأي صحيح وسئل عن آخر فقال: لا رأي ولا حديث.

وبإسناده^(١) إلى محمد بن مسلم بن وارة قال: لما قدمت من مصر أتيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل أسلم عليه، فقال لي: كتبت كتب الشافعي؟ فقلت: لا، فقال لي: فَرُطْتُ، ما عرفنا العموم من الخصوص وناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعي. قال ابن وارة: فحملني ذلك على أن رجعت إلى مصر فكتبتها.

وبإسناده قال الزعفراني^(٢): كنت مع يحيى بن معين في جنازة فقلت له: يا أبا زكريا ما تقول في الشافعي؟ فقال دعنا لو كان الكذب له مطلقاً لكانت مروءته تمنعه أن يكذب.

وبإسناده^(٣) إلى عبد الملك الميموني قال: كنت عند أحمد بن حنبل وجرى ذكر الشافعي، فرأيت أحمد يرفعه وقال: يروى عن النبي ﷺ أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يقرر لها دينها، فكان عمر بن عبد العزيز في رأس المائة الأولى، وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الأخرى.

وبإسناده: قال الشيخ أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول: كنا في مجلس القاضي أبي العباس ابن سريج سنة ثلاث وثلاثمائة، فقام إليه شيخ من أهل العلم فقال له: أبشر أيها القاضي فإن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها، وأنه تعالى بعث على رأس المائة عمر بن عبد العزيز وتوفي سنة ثلاث ومائة، وبعث على رأس المائتين أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي وتوفي سنة أربع ومائتين، وبعثك على رأس الثلاثمائة، ثم أنشأ يقول:

اثنان قد مضيا فبورك فيهما عُمُرُ الخليفة ثم حِلْفُ السُّودِ
الشافعيُّ الألمعيُّ محمدٌ إرثُ النبوة وابنُ عمِّ محمدٍ
أبشُرْ أبا العباس إنك ثالث من بعدهم سقياً لنوبة أحمدٍ
قال: فصاح القاضي وبكى وقال: إن هذا الرجل قد نعى إلي نفسي. قال فمات القاضي أبو العباس في تلك السنة.

(١) البيهقي ١: ٢٦٢.

(٣) البيهقي ١: ٥٥.

(٢) البيهقي ٢: ٢٥٠.

(٤) البيهقي ٢: ٣٢٤ - ٣٢٥.

وذكر الخطيب في «تاريخه» أن ابن سريج مات سنة ست وثلاثمائة.

وبإسناد البيهقي إلى داود بن علي الأصبهاني أنه قال^(١): اجتمع للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره، فأول ذلك شرف نفسه ومنصبه وأنه من رهط النبي ﷺ، ومنها صحة الدين وسلامة الاعتقاد من الأهواء والبدع، ومنها سخاوة النفس، ومنها معرفته بصحة الحديث وسقمه، ومنها معرفته بناسخ الحديث ومنسوخه، ومنها حفظه لكتاب الله وحفظه لأخبار رسول الله ﷺ ومعرفته بسير النبي ﷺ وبسير خلفائه ومنها كشفه لتمويه مخالفه، ومنها تأليف الكتب القديمة والجديدة، ومنها ما اتفق له من الأصحاب والتلامذة مثل أبي عبد الله أحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه وإقامته على السنة، ومثل سليمان بن داود الهاشمي وعبد الله بن الزبير الحميدي والحسين الفلاس^(٢) وأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي وحرملة بن يحيى التجيبي والربيع بن سليمان المرادي وأبي الوليد موسى بن أبي الجارود والحرث بن سريج النقال وأحمد بن خالد الخلال وأبي عبيد القاسم بن سلام والقائم بمذهبه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني.

قال الشيخ أحمد البيهقي، إنما عدّد داود بن علي من أصحاب الشافعي جماعة يسيرة، وقد عدّ أبو الحسن الدارقطني من روى عنه أحاديثه وأخباره أو كلامه زيادة على مائة، هذا مع قصور سنه عن سن أمثاله من الأئمة، وإنما تكثر الرواة عن العالم إذا جاوز سنه الستين أو السبعين، والشافعي لم يبلغ في السن أكثر من أربع وخمسين.

ومن «كتاب مرو» مسنداً إلى عبد الله بن محمد بن هارون الفريابي قال^(٣): وقفت بمكة على حلقة عظيمة وفيها رجل، فسألت عنه فقليل هذا محمد بن إدريس الشافعي، فسمعتة يقول: سلوني عما شئتم أخبركم بأية من كتاب الله وسنة عن رسول الله ﷺ وقول صحابي. فقلت في نفسي: إن هذا الرجل جريء، ثم قلت له: ما تقول في المحرم يقتل الزنور. فقال قال الله تعالى ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ: اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر، وحدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن عمر رضي الله عنه أمر المحرم بقتل الزنور.

(٢) انظر مناقب البيهقي ١: ٣٦٢.

(١) م: القلاسي.

وعن المزني سمعت الشافعي يقول: رأيت بالمدينة أربع عجائب، رأيت جدة لها إحدى وعشرون سنة، ورأيت رجلاً فُلَّسه القاضي في مُدِّي نوى، ورأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة يدور نهاره حافياً راجلاً على القيان يعلمهن الغناء فإذا جاءت الصلاة صُلَّى قاعداً، وكان بالمدينة وال وكان رجلاً صالحاً فقال: مالي لا أرى الناس يجتمعون على بابي كما يجتمعون على أبواب الولاية؟ فقالوا: إنك لا تضرب أحداً ولا تؤذي الناس، فقال: أهكذا؟ عليّ بالإمام، فنصب بين العقابين وجعل يضرب والإمام يقول: أعز الله الأمير أيش جرمي؟ وهو يقول: جَمَلْنَا بنفسك، حتى اجتمع الناس على بابه.

وعن خيثمة بن سليمان بن حيدرة قال^(١): جاء رجل إلى الشافعي فقال له: أصلحك الله، صديقك فلان عليل، فقال الشافعي: والله لقد أحسنت إليّ وأيقظتني لمكرمة ودفعت عني اعتذاراً يشوبه الكذب، ثم قال: يا غلام هات السبتية، ثم قال: للمشي على الحفاء على علة الوجاء في حرّ الرمضاء من ذي طول أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب، ثم أنشأ يقول:

أرى راحةً للحقِّ عند قضائه ويشقُّ يوماً إن تركت على عَمْدٍ
وحسبك حظاً أن ترى عُذْرَ كاذبٍ وقولك لم أعلم وذاك من الجهدِ
ومن يقضِ حقَّ الجار بعد ابنِ عمه وصاحبه الأدنى على القرب والبعدِ
يعشُ سيداً يستعذب^(٢) الناس ذكره وإن نابِه حقُّ أتوّه على قصدِ
ومما يروى للشافعي رضي الله عنه^(٣):

أصبحَ مطرُحاً في معشرٍ جهلوا حقَّ الأديب فباعوا الرأس بالذنبِ
والناسُ يجمعهم سملٌ وبينهم في العقل فَرَقٌ وفي الآدابِ والحسبِ
كمثلما الذهبُ إلا بريقُ يَشْرُكُهُ في لونه الصُّفْرُ والتفضيلُ للذهبِ
والعودُ لو لم تطبْ منه روائحه لم يفرقِ الناسُ بين العودِ والحطبِ
وعن أبي بكر ابن بنت الشافعي قال، قال الشافعي بمكة حين أراد الخروج إلى مصر^(٤):

(١) البيهقي ٢: ٦٤.

(٢) البيهقي ٢: ١٠٣ - ١٠٤.

(٣) البيهقي ٢: ١٠٨.

(٤) م: يستغرب.

لقد أصبحت نفسي تنوق إلى مصرٍ ومن دونها قَطَعُ المهامه والقفرِ
فوالله ما أدري أَللفوز والغنى أساقُ إليها أم أساقُ إلى القبرِ
قال: فخرج فقطع عليه الطريق، فدخل بعضَ المساجد وليس عليه إلا خرقة،
فدخل الناس وخرجوا فلم يلتفت إليه أحد، فقال^(١):

عليّ ثيابٌ لو يباعُ جميعها بفلسٍ لكان الفلسُ منهمْ أكثرا
وفيهن نفسٌ لو يقاس ببعضها نفوسُ الورى كانتْ أجَلْ وأكبرا
وما ضرَّ نصلَ السيفِ إخلاقُ غمده إذا كان عضباً أين وجَّهته برى
قرأت في كتاب «خطط مصر» لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن
جعفر بن علي القضاعي المصري صاحب «كتاب الشهاب» قال: محمد بن إدريس
الشافعي المطلبي الفقيه يكنى أبا عبد الله، توفي في سلخ رجب سنة أربع ومائتين
بمصر، ودفن غربي الخندق في مقابر قريش، وحوله جماعة من بني زهرة من ولد
عبد الرحمن بن عوف الزهري وغيرهم، وقبره مشهورٌ هناك مجمع على صحته ينقل
الخلف عن السلف في كل عصر إلى وقتنا هذا، وهو البحري من القبور الثلاثة التي
تجمعها مصطبة واحدة غربي الخندق، بينه وبين المشهد، والقبران الآخران اللذان
إلى جنب قبر الشافعي أحدهما قبر عبد الله بن الحكم بن أعين بن ليث بن رافع مولى
قريش مات سنة أربع عشرة ومائتين، ودفن إلى جنب من الشافعي، وهو مما يلي
القبلة، وهو القبر الأوسط من القبور الثلاثة، وكان من ذوي الجاه والمال والذباح،
وكان يزكي اليهود، ولم يشهد قطْ لدعوة سَبَقَتْ فيهم، والقبر الثالث قبر ولده عبد
الرحمن بن عبد الله بن الحكم مات في سنة سبع وخمسين ومائتين، وقبره مما يلي
القبلة، وعبد الرحمن هذا هو صاحب كتاب «فتوح مصر» وكان عالماً بالتواريخ.

يقال إن الشافعي رضي الله عنه قدم إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة في أول
خلافة المأمون، وكان سبب قدومه إلى مصر أن العباس بن عبد الله بن العباس بن
موسى بن عبد الله بن العباس استصحبه فصحبه، وكان العباس هذا خليفة لأبيه عبد
الله على مصر، ولم يزل الشافعي بمصر إلى أن ولي السري بن الحكم البلخي، من
قوم يقال لهم الزطّ، مصر واستقامت له، وكان يكرم الشافعي ويقدمه ولا يؤثر أحداً
عليه، وكان الشافعي محبباً إلى الخاص والعام لعلمه وفقهه وحسن كلامه وأدبه

(١) البيهقي ١: ١٢٩ - ١٣٠.

وحلمه، وكان بمصر رجل من أصحاب مالك بن أنس يقال له فتیان فيه حدة وطيش، وكان يناظر الشافعي كثيراً ويجتمع الناسُ عليهما، فتناظرا يوماً في مسألة بيع الحر، وهو العبد المرهون إذا أعتقه الراهن ولا مال له غيره، فأجاب الشافعي بجواز بيعه على أحد أقواله، ومنع فتیان منه لأن يمضي عتقه بكل وجه، وهو أحد أقوال الشافعي، فظهر عليه الشافعي في الحجاج، فضاق فتیان بذلك ذرعاً فشتم الشافعي شتماً قبيحاً، فلم يردَّ عليه الشافعي حرفاً، ومضى في كلامه في المسألة، فَرَفَعَ ذلك رافعاً إلى السري، فدعا الشافعي وسأله عن ذلك وعزم عليه فأخبره بما جرى، وشهد الشهود على فتیان فَضْرِبَ بالسياط وطيف به على جمل وبين يديه منادٍ ينادي هذا جزاء من سبَّ آلَ رسول الله ﷺ. ثم إن قوماً تعصبوا لفتیان من سفهاء الناس وقصدوا حلقة الشافعي حتى خلت من أصحابه وبقي وحده، فهجموا عليه وضربوه، فحمل إلى منزله فلم يزل فيه عليلاً حتى مات في الوقت المقدم ذكره.

قال ابن يونس: كان للشافعي ابن اسمه محمد قدم مع أبيه مصر، توفي بها في شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين. وقيل كان له ولد آخر اسمه محمد أيضاً يروي عن سفيان بن عيينة ولي قضاء الجزيرة وتوفي بها بعد أربعين ومائتين.

ومن مشهور أصحاب الشافعي: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني^(١)، مات في سنة أربع وستين ومائتين.

والربيع بن سليمان وكان من أجل أصحاب الشافعي وأورعهم وأكثرهم تصنيفاً. ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم^(٢) يكنى أبا عبد الله، صحب الشافعي وقرأ عليه ومات سنة ثمان وستين ومائتين، ودفن إلى جنب الشافعي مع قبر أخيه وأبيه المذكورين، وكان من أهل الدين والورع.

والربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي^(٣) مولى لهم المؤذن الفقيه، يكنى أبا محمد، وهو صاحب الشافعي المشهور بصحبته ومات سنة سبعين ومائتين، وقبره غربي الخندق مما يلي الفقاعي، وهو آخر من روى بمصر عن الشافعي، وكان جليلاً مصنفًا حدث بكتب الشافعي كلها ونقلها الناس عنه ويقال إنه أعان المزني على غسل الشافعي.

(١) ترجمة إسماعيل المزني في سير الذهبي ١٢: ٤٩٢ (وإنما اخترت السير لأنه يدل على غيره لكثرة المصادر المذكورة في الحواشي).

(٢) ترجمة ابن عبد الحكم في سير الذهبي ١٢: ٤٩٧.

(٣) ترجمة الربيع المرادي في سير الذهبي ١٢: ٥٨٧.

والربيع بن سليمان بن داود بن الأعرج الجيزي^(١) مولى الأزد، وأظنه صحب الشافعي ومات في سنة ست وخمسين ومائتين وقبره بالجيزة.

وهذا فهرست كتب الشافعي رضي الله عنه: كتاب الطهارة. كتاب مسألة المنى. كتاب استقبال القبلة. كتاب الإمامة. كتاب إيجاب الجمعة. كتاب صلاة العيدين. كتاب صلاة الكسوف. كتاب صلاة الاستسقاء. كتاب صلاة الجنائز. كتاب الحكم في تارك الصلاة. كتاب الصلاة الواجبة والتطوع والصيام. كتاب الزكاة الكبير. كتاب زكاة الفطر. كتاب زكاة مال اليتيم. كتاب الصيام الكبير. كتاب المناسك الكبير. كتاب المناسك الأوسط. كتاب مختصر المناسك. كتاب الصيد والذبائح. كتاب البيوع الكبير. كتاب الصرف والتجارة. كتاب الرهن الكبير. كتاب الرهن الصغير. كتاب الرسالة. كتاب أحكام القرآن. كتاب اختلاف الحديث. كتاب جماع العلم. كتاب اليمين مع الشاهد. كتاب الشهادات. كتاب الإجازات الكبير. كتاب كرى الإبل والرواحل. كتاب الإجازات إملاء. كتاب اختلاف الأجير والمستأجر. كتاب الدعوى والبيانات. كتاب الاقرار والمواهب. كتاب ردة المواريث. كتاب بيان فرض الله عز وجل. كتاب صفة نهى النبي عليه السلام. كتاب النفقة على الأقارب. كتاب المزارعة. كتاب المساقاة. كتاب الوصايا الكبير. كتاب الوصايا بالعق. كتاب الوصية للوارث. كتاب وصية الحامل. كتاب صدقة الحي عن الميت. كتاب المكاتب. كتاب المدبر. كتاب عتق أمهات الأولاد. كتاب الجنانية على أم الولد. كتاب الولاء والحلف. كتاب التعريض بالخطبة. كتاب الصداق. كتاب عشرة الصداقة. كتاب تحريم ما يجمع من النساء. كتاب الشغار. كتاب إباحة الطلاق. كتاب العدة. كتاب الإيلاء. كتاب الخلع والنشوز. كتاب الرضاع. كتاب الظهار. كتاب اللعان. كتاب أدب القاضي. كتاب الشروط. كتاب اختلاف العراقيين. كتاب اختلاف علي وعبد الله. كتاب سير الأوزاعي. كتاب الغصب. كتاب الاستحقاق. كتاب الأقضية. كتاب إقرار أحد الابنين بأخ. كتاب الصلح. كتاب قتال أهل البغي. كتاب الأسارى والغلول. كتاب القسامة. كتاب الجزية. كتاب القطع في السرقة. كتاب الحدود. كتاب المرتد الكبير. كتاب المرتد الصغير. كتاب الساحر والساحرة. كتاب القراض. كتاب الأيمان والنذور. كتاب الأشربة. كتاب الوديعه. كتاب العمري. كتاب بيع المصاحف. كتاب خطأ الطبيب. كتاب جنانية معلم الكتاب. كتاب جنانية البيطار والحجام. كتاب اصطدام الفرسين والنفسين. كتاب بلوغ الرشد.

(١) ترجمة الربيع المرادي في سير الذهبي ١٢ : ٥٩١.

كتاب اختلاف الزوجين في متاع البيت . كتاب صفة النفى . كتاب فضائل قريش والأنصار . كتاب الوليمة . كتاب صول الفحل . كتاب الضحايا . كتاب البحيرة والسائبة . كتاب قسم الصدقات . كتاب الاعتكاف . كتاب الشفعة . كتاب السبق والرمي . كتاب الرجعة . كتاب اللقيط والمنبوذ . كتاب الحوالة والكفالة . كتاب كرى الأرض . كتاب التفليس . كتاب اللقطة . كتاب فرض الصدقة . كتاب قسم الفيء . كتاب القرعة . كتاب صلاة الخوف . كتاب الديات . كتاب الجهاد . كتاب جراح العمد . كتاب الخرص . كتاب العتق . كتاب عمارة الأرضين . كتاب إبطال الاستحسان . كتاب العقول . كتاب الأولياء . كتاب الرد على محمد بن الحسن . كتاب خلاف مالك والشافعي . كتاب قطاع الطريق .

قال : والذي لم يسمعه الربيع من الشافعي رضي الله عنه وأرضاه : كتاب الوصايا الكبير . كتاب اختلاف أهل العراق على علي وعبد الله . كتاب ديات الخطأ . كتاب قتال المشركين . كتاب الاقرار بالحكم الظاهر . كتاب الأجناس . كتاب اتباع أمر رسول الله ﷺ . كتاب مسألة الجنين . كتاب وصية الشافعي . كتاب ذبائح بني إسرائيل . كتاب غسل الميت . كتاب ما ينجس الماء مما يخالطه . كتاب الأمالي في الطلاق . كتاب مختصر البويطي ، رواه الربيع عن الشافعي رضي الله عنه .

قافية الهمزة

(١)

دَعِ الْآيَامَ . .

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه داعياً إلى
تقبل أحكام القضاء وعدم الجزع من حوادث
الزمان ومواجهة الصروف بجلادة الرجل السمع مؤكداً
أن الشدائد حال تزول، ما دام كل شيء يحور ولا
يدوم:

دَعِ الْآيَامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ	وَطِبْ نَفْساً إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ ^(١)
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي	فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ ^(٢)
وَكُنْ رَجُلًا عَلَى الْأَهْوَالِ جَلْدًا	وَشِيَمَتِكَ السَّمَاخَةُ وَالْوَفَاءُ ^(٣)
وَإِنْ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ فِي الْبَرَايَا	وَسَرَكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءُ ^(٤)
تَسْتَرْزِ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ غَيْبٍ	يُغْطِيهِ - كَمَا قِيلَ - السَّخَاءُ ^(٥)
وَلَا تُرِ لِلْأَعَادِي قَطُّ دُلَاءُ	فَإِنَّ شَمَاتَةَ الْأَعْدَا بَلَاءُ

(١) دَعِ: الأمر من ودع (الشيء): تركه - طِبْ: الأمر من طاب بطيب طيبة وطيباً وتطيباً: لذّ وحلا، وطابت النفس: انشرفت - القضاء: الحكم، جمع أقضية، والمراد هنا قضاء الله أي حكم أقداره.

(٢) لا تجزع: أي أصبر، يقال: جزع منه لم يصبر عليه فأظهر الحزن أو الكدر.

حادثة الليالي: ما تحمله الأيام من الأمور الجديدة ويراد بها غالباً الأمور المنكرة غير المعتادة أو المألوفة - يدعو الإمام الشافعي إلى تحمل مكاره الحياة والصبر عليها لأن لا شيء يبقى على حاله كأنه يستوحى الآية الكريمة: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [سورة الانشراح: ٥ و ٦]

(٣) الأهوال: جمع هول وهو المخافة من الأمر - الجلد: الشديد القوي - الشيمة: الخلق والطبيعة.

(٤) البرايا: جمع برية، الخلق.

(٥) السخاء: الكرم والجود - يغطيه: يستره.

ولا تَزُجُ السَّمَاحَةَ مِنْ بَخِيلٍ
ورزقكَ لَيْسَ يُنْقِصُهُ التَّائِي
ولا حُزْنَ يَدُومَ ولا سُرُورَ
إذا ما كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ
ومن نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَايَا
وأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ وَلَكِنْ
دَعِ الْإِيمَانَ تَغْدِرُ كُلَّ حِينٍ
فَمَا فِي النَّارِ لِلظَّمْآنِ مَاءٌ^(١)
ولَيْسَ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ الْعَنَاءُ^(٢)
ولا بُؤْسٌ عَلَيْنِكَ ولا رَخَاءُ
فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءُ
فَلَا أَرْضٌ تَقِيهِ ولا سَمَاءُ^(٣)
إِذَا نَزَلَ الْقَضَا ضَاقَ الْفَضَاءُ^(٤)
فَمَا يُغْنِي عَنِ الْمَوْتِ الدَّوَاءُ

(٢)

لا تُخْطِي

وقال رضي الله عنه ينهى عن إزدراء الذَّعَاءِ :

أَتَهْزَأُ بِالذُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ
وما تَذْري بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ^(٥)
سِهَامُ اللَّيْلِ لَا تُخْطِي وَلَكِنْ
لَهَا أَمَدٌ وَلِلْأَمَدِ أَنْقِضَاءُ^(٦)

(٣)

جَهْدُ الْبَلَاءِ

وقال رضي الله عنه محدداً مصدر البلاء في حب
النساء :

أَكْثَرَ النَّاسِ فِي النِّسَاءِ وَقَالُوا
إِنَّ حُبَّ النِّسَاءِ جَهْدُ الْبَلَاءِ^(٧)

(١) الظَّمْآنُ : العطشان - شبه الشافعي السماحة بالماء وقال ما دامت النار لا تعطي الظمآن ماء كذلك البخيل لا يوجد بالسماحة .

(٢) التَّائِي : الأناة والتمهل - العناء : التعب الشديد .

(٣) يقول إذا أزفت المنية فلا يقيك منها أرض ولا سماء وهو مضمون الآية الكريمة : ﴿يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [سورة النساء : الآية ٧٧] .

(٤) القضا : مخفف القضاء .

(٥) تزدريه : تمتعته ، تحتقره ، من ازدري وزري زراية فهو زار أو مزدري .

(٦) الأمد : الغاية ومنتهى الشيء وجمع الأمد الآماد - الانقضاء : الانتهاء أو النهاية .

(٧) البلاء : الاختبار يكون بالخير أو الشر ، والبلاء الغم الذي يبدو كأنه يبلي الجسم وهو المقصود هنا .

لَيْسَ حُبُّ النَّسَاءِ جَهْدًا وَلَكِنْ قُرْبُ مَنْ لَا تُحِبُّ جُهْدُ الْبَلَاءِ^(١)

(٤)

وَاحْسِرَةَ لِلْفَتَى

قال الإمام الشافعي لا سرور يعدلُ صحبة
الإخوان، ولا غمٌ يغيْدُ فراقهم والغريبُ من فقد
إلفه، لا من فقد منزله، وفي هذا المعنى يقول:

وَاحْسِرَةَ لِلْفَتَى سَاعَةً يَعِيشُهَا بَغْدَ أَوْدَائِهِ^(٢)
عُسْرُ الْفَتَى لَوْ كَانَ فِي كَفِّهِ رَمَى بِهِ بَغْدَ أَحْبَائِهِ

(١) يقول ليس الحب مصدر الجهد أي المشقة بل بعد المحبوب أو قرب من لا نحب هو البلاء والجهد أي الغم والعناء.

(٢) الأوداء: الأحباء والأصحاب جمع وديد، والوديد الحبيب يقول: لو كان المرء يملك عمره ويقدر على امتلاكه والتصرف به لكان حرياً أن يطرحه أو يرميه إذا افتقد أحباءه.



(٥)

وُقُوفُ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ

ومما قاله في الحثِّ على السفر والافتراق
سعيًا وراء شريف المطلب واكتساباً لتجربة
الأيام رابطاً ذلك بظاهرة التحوُّل وهي سنة الكون
والوجود:

ما في المُقام لِذي عَقْلٍ وَذِي أَدَبٍ مِنْ رَاحَةٍ فَدَعِ الْأَوْطَانَ وَاعْتَزِبِ^(١)
سَافِرٌ تَجِدُ عَوَضاً عَمَّنْ تُفَارِقُهُ وَأَنْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي التَّنْصِبِ
إِنِّي رَأَيْتُ وَُقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجِرْ لَمْ يَطْبِ^(٢)
وَالْأَسَدُ لَوْ لَا فِرَاقُ الْأَرْضِ مَا افْتَرَسَتْ وَالسَّهْمُ لَوْ لَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصِبْ
وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الْفُلْكِ دَائِمَةً لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبٍ
وَالثَّبَرُ كَالثَّرْبِ مُلْقَى فِي أَمَاكِينِهِ وَالْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ^(٣)
فَلِإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ وَإِنْ تَغَرَّبَ ذَاكَ عَزَّ كَالذَّهَبِ

(١) المُقام: (بضم الميم): الإقامة مكاناً وزماناً والمقام (بفتح الميم): المنزل - يقول: لا راحة للمقيم في المكان لا يبرحه فعلى العاقل ما دامت الراحة غير موفورة بالبقاء في موطن ما - أن يتحمل أعباء السفر والافتراق لأن لذة العيش في التصب أي التعب والعناء.

(٢) وقوف الماء: ركوده، عدم جريه - ساح الماء: سال وجرى - يشبه بقاء الإنسان في موطنه لا يبرحه بالماء الراكد الذي يفسده وقوفه، بينما يطيب ويعذب إذا هو جرى أو ساح.

(٣) الثبر: الذهب - ملقى في أماكنه: مطروح - العود: أي عود البخور - يقول إن الذهب إذا بقي في مكانه ظلَّ عديم النفع كالتراب مثل عود البخور ليس أكثر قيمة من الحطب في أرضه فإذا تغرَّب هذا أو ذاك صار عزيز القيمة والمطلب.

(٦)

بَاعُوا الرَّأْسَ بِالذَّنْبِ

جاء في معجم الأدباء قول الإمام الشافعي في
الفروق بين الناس في العقل والأدب والحسب

أَضْبَحْتُ مُطْرَحًا فِي مَعْشَرٍ جَهْلُوا حَقُّ الْأَدِيبِ فَبَاعُوا الرَّأْسَ بِالذَّنْبِ^(١)
وَالنَّاسُ يَجْمَعُهُمْ شَمْلٌ، وَبَيْنَهُمْ فِي الْعَقْلِ فَرْقٌ وَفِي الْأَدَابِ وَالْحَسَبِ^(٢)
كَمَثَلٍ مَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيْزُ يَشْرُكُهُ فِي لَوْنِهِ الصُّفْرُ، وَالتَّفْضِيلُ لِلذَّهَبِ^(٣)
وَالْعُودُ لَوْ لَمْ تَطْبُ مِنْهُ رَوَائِحُهُ لَمْ يَفْرِقِ النَّاسُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْحَطَبِ^(٤)

(٧)

جَرَدْتُ صَارِمًا

ومن خواطر الإمام الشافعي في طبائع الناس
وتباينهم في الأخلاق والعادات وترفعه عن صحبة
البخيل لائذاً بإيمانه وغنى ذاته:

بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا فَلَمْ أَرْ فِيهِمْ سِوَى مَنْ عَدَا وَالبُخْلُ مَلَأَ إِهَابِهِ^(٥)
فَجَرَدْتُ مِنْ غَمْدِ الْقَنَاعَةِ صَارِمًا قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْهُمْ بِذُبَابِهِ^(٦)
فَلَا ذَا يَرَانِي وَاقِفًا فِي طَرِيقِهِ وَلَا ذَا يَرَانِي قَاعِدًا عِنْدَ بَابِهِ
غَنِيٌّ بِمَا مَالٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا عَنِ الشَّيْءِ لَا بِهِ

(١) مطروحاً: مُلقًى، مرمياً - معجم الأدباء لياقوت ٣١٩/١٧.

(٢) الشَّمْلُ: مصدر شمل شَملاً وشملاً وشمولاً الأمرُ القومُ: عَمَهُم - الحسب: جمع أحساب، شرف الأصل.

(٣) الذَّهَبُ الْإِبْرِيْزُ: الذهب الخالص - يَشْرُكُهُ: يشاركه - الصُّفْرُ: النحاس.

(٤) يقول: شأن الفرق بين الناس في الأدب والحسب كشأن عود البخور لولا طيب رائحته لما ميّز الناس بينه وبين أعواد الحطب.

(٥) بلوت بني الدنيا: اختبرتهم وجربتهم وبلوتهم أيضاً: امتحنتهم من بلا بلوا وبلاء الرجل: اختبره - الإهاب: الجلد، أو ما لم يدبغ منه.

(٦) جَرَدْتُ: سللتُ - الغمد: جفن السيف، وقوله: غمد القناعة من باب المجاز والاستعارة - الصارم: السيف القاطع - قطعت رجائي منهم: يئست، والرجاء: ضد اليأس - بذبابه: أي بحذّه، أي بحذّ السيف أو طرفه.

إِذَا مَا ظَالَمُ اسْتَحْسَنَ الظُّلْمَ مَذْهَبًا وَلَجَّ عُتُوءًا فِي قَبِيحِ اكْتِسَابِهِ^(١)
فِكَلُهُ إِلَى صَرْفِ اللَّيَالِي فَإِنَّهَا سَتَدْعِي لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ^(٢)
فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا ظَالِمًا مُتَمَرِّدًا يَرَى النُّجْمَ تَبْهًا تَخْتِ ظِلُّ رِكَابِهِ^(٣)
فَعَمَّا قَلِيلٍ وَهُوَ فِي غَفْلَاتِهِ أَنَاخَتْ صُرُوفُ الْحَادِثَاتِ بِبَابِهِ^(٤)
فَأُضْبِحَ لَا مَالَ وَلَا جَاهَ يُرْتَجَى وَلَا حَسَنَاتٍ تُلْتَقِي فِي كِتَابِهِ^(٥)
وَجُوزِي بِالْأَمْرِ الَّذِي كَانَ فَاعِلًا وَصَبَّ عَلَيْهِ اللَّهُ سَوْطَ عَذَابِهِ^(٦)

(٨)

يُقَاسُ بِطِفْلِ

وقال رضي الله عنه :

أَرَى الْغِرَّ فِي الدُّنْيَا إِذَا كَانَ فَاضِلًا تَرَقَّى عَلَى رُوسِ الرِّجَالِ وَيَخْطُبُ^(٧)
وَأِنْ كَانَ مِثْلِي لَا فَضِيلَةَ عِنْدَهُ يُقَاسُ بِطِفْلِ فِي الشُّوَارِعِ يَلْعَبُ

(١) استحسن الشيء: وجده حسناً - المذهب: النهج والطريقة - لجَّ في الأمر: لازمه وأبى أن ينصرف عنه ولجَّ به الهم: ألحَّ عليه ولجَّ لججاً ولججاً ولجاجة عند في الخصومة أو غمادى في العناد. يقال لجَّ على فلان في الطلب: ألحَّ عليه - العتو: التمرد، والتكبر من عتا يعتو فهو عات أي متجبر، والعاقب الذي يبالغ في العصيان، جمع عتاة وعتي. يقال ليلة عاتية شديدة الظلمة وحاكم عاتٍ شديد القسوة لا يلين.

(٢) كَلَهُ إِلَى: كلَّ الأمر من وكل يكَلُ وكللاً إليه الأمر: سلَّمه وتركه وفوضه إليه واكتفى به - صرف الليالي أو صرف الدهر وصروفه: نوابه وحدثانه - ما لم يكن في حسابه أو حسبان: أي ما لم يكن في ظنه.

(٣) تبهاً: زهواً وتكبراً من تاه يتبه تبهاً: تكبر وتجبّر - الرُكَّاب: ما يعلّق في السرج فيجعل الرُكَّاب فيه رجله.

(٤) الغفلات: جمع غفلة مصدر غفل غفولاً عن الشيء: سها عنه وتركه والغفلة الإهمال.

(٥) في كتابه: أي في كتاب أعماله أي صحيفة أعماله وقدره.

(٦) جوزي: نال جزاءه، أي نتيجة عمله وفعله - صبَّ عليه سوط العذاب: أي العذاب الشديد كما في قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [سورة الفجر: الآية ١٣].

(٧) الغرّ (كما جاء في لسان العرب): الذي لا يفتن للشر ويفعل عنه لأنه غير مجرب والغرّ والغريز: الشاب الذي لا تجربة له وفي الحديث: المؤمن غرّ كريم والكافر خب، والخب ضد الغرّ وعن ابن الأعرابي: أنت غرّ والجارية غرّ إذا تصابيا، والغرة الغفلة - ترقى على: ارتقى، علا.

(٩)

أَنْتَ حَسْبِي

ومما قاله الإمام الشافعي رضي الله عنه :

أَنْتَ حَسْبِي وَفِيكَ لِلْقَلْبِ حَسْبُ وَلِحَسْبِي إِنْ صَحَّ لِي فِيكَ حَسْبُ^(١)
لَا أُبَالِي مَتَى وَذَاكَ لِي صَحَّ مِنْ الدَّهْرِ مَا تَعَرَّضَ خَطْبُ^(٢)

(١٠)

خَبْرًا الْمُنَجِّمَ

وقال الشافعي مسفهاً قول كل منجم مؤكداً كفره
بالتنجيم وإيمانه بالقضاء الإلهي .

خَبْرًا عَنِّي الْمُنَجِّمَ أَنِّي كَافِرٌ بِالَّذِي قَضَيْتُهُ الْكَوَاكِبُ^(٣)
عَالِمًا أَنَّ مَا يَكُونُ وَمَا كَانَ قَضَاءً مِنَ الْمُهِمِّنِ وَاجِبُ^(٤)

(١١)

خَالِفَ هَوَاكَ

وقال الشافعي يدعو إلى عدم ركوب مطية الأهواء
لأنها الطريق إلى المغالط والعيوب :

إِذَا حَارَ أَمْرُكَ فِي مَغْنَيْنَيْنِ وَلَمْ تَدْرِ حَيْثُ الْخَطَا وَالصَّوَابُ

(١) الحسب: الكفاية . وفي البيت إيراد لعدد من الجناسات من اشتقاق حسب ومن معانيها العد والعلم والأجر والظن وسواها، وتفهم من سياق البيت .

(٢) لا أبالي : لا أكرث ، لا أهتم - الوداد: مصدر وَدَّ وَدًّا وَودًّا . (فلاناً): أحبه يقال: وددت: لو فعلت ذلك: أي تمتيت - الخطب: الشأن والخطب: الأمر عظم أو صغر، ويغلب استعماله للأمر العظيم المكروه، والجمع خطوب.

(٣) كافر بالذي قضته الكواكب: أي غير مؤمن بما يزعمه المنجمون من معرفتهم بحفظ الناس حسب نظرهم إلى النجوم وأوضاعها.

(٤) يقول: أنه عالم بأن ما كان في الماضي وما سيكون مستقبلاً إنما جميعه قضاء من الله، والقضاء الحكم - المهيمن: من أسماء الله الحسنى أي ذو السطوة والقدرة.

فَخَالِفْ هَوَاكَ فَإِنَّ الْهَوَى يَقُودُ النُّفُوسَ إِلَى مَا يُعَابُ^(١)

(١٢)

تَمُوتُ الْأُسْدُ جُوعاً

وقال الشافعي مؤكداً دور الحظ في مفارقات الوجود:

تَمُوتُ الْأُسْدُ فِي الْغَابَاتِ جُوعاً وَلَحْمُ الضَّانِ تَأْكُلُهُ الْكِلَابُ^(٢)
وَعَبْدٌ قَدْ يَنَامُ عَلَى حَرِيرٍ وَذُو نَسَبٍ مَفَارِشُهُ التُّرَابُ^(٣)

(١٣)

تَزَايَدَتْ رِفْعَةً

وقال الإمام الشافعي ضارباً بنفسه المثل في الترفع عن الأنزال متشبهاً برفعته وإباته:

إِذَا سَبَّيْنِي نَذَلَ تَزَايَدَتْ رِفْعَةً وَمَا الْعَيْبُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ مُسَابِئَةً^(٤)
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَفْسِي عَلَيَّ عَزِيزَةً لَمَكَّنْتُهَا مِنْ كُلِّ نَذَلَ تُحَارِبُهُ^(٥)
وَلَوْ أَنَّي أَسْعَى لِنَفْعِي وَجَدْتُني كَثِيرَ التَّوَانِي لِلَّذِي أَنَا طَالِبُهُ^(٦)

(١) الهوى (هنا): ميل النفس إلى ما تستلذّ جمع الأهواء وغلبت اللفظة على ما ليس محموداً وأهل الأهواء أهل البدع - يقول: خالف هواك أي لا تتبع ما تمليه عليك ميول نفسك لأنها تقودك إلى ما يعاب أو يذم.

(٢) الضأن: اسم جنس لخلاف الماعز من الغنم، والضأن من الغنم: ذو الصوف - يصوّر مفارقات الحياة بأسلوب لا يخلو من الرمز فالأسود رمز للكرام من العلماء والأولياء والكلاب رمز لذوي اللؤم والخساسة فهو يعجب من التباين بين واقع الأخيار وواقع الأراذل وموت أولئك جوعاً بينما الكلاب تأكل لحوم الأغنام وقوله هذا شبيه بقول ابن الرومي هاجياً:

رَأَيْتُ السُّدْمَ يَرْفَعُ كُلَّ وَغْدٍ وَيُخْفِضُ كُلَّ ذِي زَنْةٍ شَرِيفَةً
كَذَاكَ الْبُخْرُ يَرْسُبُ فِيهِ دُرٌّ وَلَا تَنْفَكُ تَطْفُو فِيهِ جِيفَةٌ

(٣) العبد: أراد بالعبد الدنيء، الذي لا يمتلك الأصالة والحسب. وهو هنا نقيض ذي النسب. وهذا البيت مماثل في معناه لسابقه والشافعي يتقدّم من خلاله ظواهر الباطل والظلم في الواقع الإنساني.

(٤) سبّتي: شتمني، من السبّ والسبّ لغة الشتم الوجيع - النذل: الخسيس، الحقير - يقول: كلما شتمني ذو خسة تناولت رفعة لأنني أرى العيب في مشاتمته ومبادلته السباب.

(٥) النفس العزيزة: نقيض الذليلة أو الممتنة - مكّنه منه: جعل له عليه سلطاناً وقدرة.

(٦) التواني: الفتور والتقصير وعدم الاهتمام.

وَلِكِنِّي أَسْعَى لَأَنْفَعِ صَاحِبِي وَعَارَ عَلَى الشَّبْعَانِ إِنْ جَاعَ صَاحِبُهُ^(١)

(١٤)

مِنَ الْبَلِيَّةِ

وجاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي أن الإمام
الشافعي كان يمازح زوجة له مكينة بقوله:

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ تُحِـ ِبَّ وَلَا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّهُ^(٢)
وَيَصُدُّ عَنْكَ بِوَجْهِهِ وَتُلِحُّ أَنْتَ فَلَا تُنْبِئُهُ^(٣)

(١٥)

خَبَثَ نَارُ نَفْسِي

ومن خواطر الشافعي وقد رأى بياض الشيب في
مفرق رأسه:

خَبَثَ نَارُ نَفْسِي بِاشْتِعَالِ مَفَارِقِي أَيْ بَوْمَةً قَدْ عَشَّشَتْ فَوْقَ هَامَتِي
وَأَظْلَمَ لَيْلِي إِذْ أَضَاءَ شِهَابُهَا^(٤)
عَلَى الرَّغَمِ مَنِّي حِينَ طَارَ غُرَابُهَا^(٥)
وَمَأْوَاكِ مِنْ كُلِّ الدِّيَارِ خَرَابُهَا
طَلَائِعُ شَيْبٍ لَيْسَ يُغْنِي خِضَابُهَا^(٦)
أَنْعَمُ عَيْشاً بَعْدَ مَا حَلَّ عَارِضِي

(١) يقول: أنه حريص على أن يكون نافعاً لأصحابه ويرى العار في أن يشيع بينما صاحبه يعاني من السغب والجوع.

(٢) البليّة: المصيبة - يقول: إنها لمصيبة شديدة الوطأة أن يكون الحب من طرف واحد، أي غير متبادل.

(٣) صَدَّ يَصُدُّ بِوَجْهِهِ عَنْهُ: أَعْرَضَ وَمَالَ - تُلِحُّ أَنْتَ: تَوَاطَبَ - تَغْبَهُ: مَنْ غَبَهُ أَي زَارَهُ غَبّاً: جَاءَهُ وَتَرَكَهُ يَوْمًا - يَقَارَنَ بَيْنَ الْمَحَبِّ الصَّادِقِ الْوَدُودِ وَذِي الصَّدُودِ وَكَيْفَ يَزُورُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ وَالْآخَرُ مُلْحَاحٌ لَا يَغِبُ وَلَا يَتَبَاطَأُ.

(٤) خَبَثَ النَّارُ: خَدَمَتْ وَسَكَنْتْ وَطَفِئَتْ - يَقُولُ: إِنْ نَارَ نَفْسِهِ خَدَمَتْ بِاشْتِعَالِ نَارِ الشَّيْبِ فِي مَفَارِقِهِ، وَالْمَفَارِقُ جَمْعٌ مِفْرَقٌ وَهُوَ وَسَطُ الرَّأْسِ، وَالِاشْتِعَالُ، وَالْإِظْلَامُ وَشِهَابُ الْمَفَارِقِ كُلُّهَا مِنْ بَابِ الْمَجَازِ وَالِاسْتِعَارَةِ شَبَّ الشَّيْبُ لِبَيَاضِهِ بِالشَّهْبِ وَاعْتَبَرَ ظُهُورَهُ سَبَبًا فِي خُمُودِ نَارِ النَّفْسِ.

(٥) البومة واليوم: طائر يسكن الخراب وكلاهما للذكر والأنثى يضرب به المثل في الشؤم - عَشَّشَتْ: اتَّخَذَتْ عَشًّا - الْهَامَةُ: الرَّأْسُ - الْغُرَابُ: طَائِرُ أَسْوَدَ اللَّوْنِ، شَبَّ بِهِ الشَّعْرُ الْأَسْوَدُ - يَقُولُ: إِنْ ظَهَرَ الشَّيْبُ فِي رَأْسِي وَزَوَالَ أَسْوَدَادُ شَعْرِي نَذِيرُ شَوْمٍ وَخَيْلٌ إِلَيْهِ أَنْ بَوْمَةً قَدْ اتَّخَذَتْ لَهَا عَشًّا فَوْقَ هَامَتِي.

(٦) الْعَارِضُ: صَفْحَةُ الْخَدِّ أَوْ جَانِبُهُ وَهِيَ اثْنَانِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ جِهَةٍ وَالْعَارِضُ أَيْضًا شَعْرٌ صَفْحَةُ الْخَدِّ - لَيْسَ =

وَعِزَّةٌ غُمِرَ الْمَرْءُ قَبْلَ مَشِيْبِهِ
 إِذَا اضْفَرَّ لَوْنُ الْمَرْءِ وَابْيَضَّ شَعْرُهُ
 فِدْعٌ عَنْكَ سَوَاءَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا
 وَأَذْ زَكَاةُ الْجَاهِ وَاعْلَمْ بِأَنَّهَا
 وَأَحْسَنُ إِلَى الْأَخْرَارِ تَمْلِكُ رِقَابَهُمْ
 وَلَا تَمْشِيْنَ فِي مَنْكَبِ الْأَرْضِ فَاحِراً
 وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فَإِنِّي طَعِمْتُهَا
 فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا غُرُوراً وَبَاطِلاً
 وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ
 فَإِنْ تَجَنَّبَهَا كُنْتَ سَلِماً لِأَهْلِهَا
 فَطُوبَى لِنَفْسٍ أُولَعَتْ قَعَرَ دَارِهَا
 وَقَدْ فَنِيَتْ نَفْسٌ تَوَلَّى شَبَابُهَا^(١)
 تَنْغُصُ مِنْ أَيَّامِهِ مُسْتَطَابُهَا^(٢)
 حَرَامٌ عَلَى نَفْسِ التَّقِيِّ ارْتِكَابُهَا^(٣)
 كَمِثْلِ زَكَاةِ الْمَالِ تَمَّ نَصَابُهَا^(٤)
 فَخَيْرُ تِجَارَاتِ الْكِرَاءِ اكْتِسَابُهَا^(٥)
 فَعَمَّا قَلِيلٍ يَحْتَوِيكَ ثُرَائُهَا
 وَسِيَقَ إِلَيْنَا عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا
 كَمَا لَاحَ فِي ظَهْرِ الْفَلَاةِ سَرَابُهَا^(٦)
 عَلَيْهَا كِلَابٌ هُمُحْنٌ اجْتِدَابُهَا^(٧)
 وَإِنْ تَجَنَّبَهَا نَارَ عَشْكَ كِلَابُهَا
 مُغْلَقَةً الْأَبْوَابِ مُرْخِي حِجَابُهَا

(١٦)

أَزِيدُ حِلْمًا

وقال الإمام الشافعي يصف كيف يقابل خطاب
 السفه إياه بالحلم الجميل :

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ فَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبًا

= يغني : لا يجدي - الخضاب : ما يصعب به الشعر - يقول : كيف أنعم بالعيش وقد ظهرت طلائع الشيب
 في عارضي ولم يجد الخضاب نفعا في ستره والاحتيا لاختفائه .

(١) تولى الشباب : مضى وذهب إلى غير رجعة .

(٢) تنغصت الأيام : تكذرت وباتت سيئة - المستطاب من الأيام : ما كان طيباً منها أي هائلاً .

(٣) دع عنك : أترك - سوءات الأمور : جمع سوءة وهي الخلّة القبيحة ، العورة ، ارتكاب السوء .

(٤) أذ : الأمر من أذى يؤذي (الزكاة) : أعطى وقدم - النصاب : الحصة أو المقدار الذي يوجب الزكاة .

(٥) أحسن إلى الأحرار : عاملهم بإحسان وهذا شبيه بقول الشاعر : أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما
 استعبد الإنسان إحسان - الكراء : أجره المستأجر .

(٦) لاح : بدا وظهر - السراب : ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر كأنه ماء تنعكس فيه البيوت
 والأشجار وغيرها . ويضرب به المثل في الكذب والخداع فيقال فلان أخدع من السراب ويقال للسراب
 الآل ، وقيل الآل يكون وقت الضحى ، ولكن الأصمعي يعتبر الآل والسراب واحداً .

(٧) الجيفة : جثة الميت المنتنة - يشبه الدنيا بالجيفة كما يشبه المتعلقين بها بالكلاب التي تنهش فيها ، ثم =

يَزِيدُ سَفَاهَةً فَأَزِيدُ جِلْمًا كَعُودٍ زَادَهُ الْإِخْرَاقُ طَيْبًا
(١٧)

وإن سَلِمْتُ

وقال يصف علو همته وبعد طموحه وإزماعه تحمّل
العناء لنيل أمانيه في الحياة :

سَأُضْرَبُ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا أَنَالُ مُرَادِي أَوْ أُمُوتُ غَرِيبًا^(١)
فَإِنْ تَلَفْتُ نَفْسِي فَلِلَّهِ دَرُّهَا وَإِنْ سَلِمْتُ كَانَ الرُّجُوعُ قَرِيبًا^(٢)

(١٨)

... تَهَيَّبُوهُ

جاء من أقواله في حلية الأولياء للأصفهاني^(٣) :

وَمَنْ هَابَ الرُّجَالَ تَهَيَّبُوهُ وَمَنْ حَقَّرَ الرُّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا^(٤)
وَمَنْ قَضَتِ الرُّجَالَ لَهُ حُقُوقًا وَمَنْ يَغْصِ الرِّجَالَ فَمَا أَصَابَا

= يدعو في البيتين التاليين إلى اجتناب هذه الجيفة التثنية أي الدنيا الفاسدة .

(١) ضرب في البلاد، أو في طولها وعرضها: خرج مسافراً أو تاجراً أو غازياً - المراد: المطلوب، المبتغى .

(٢) تلفت: هلكت - لله درها: أي الله ما خرج منها من خير، والدّر اللبن وكثرة اللبن - يدعو إلى السعي والتنقل في البلاد في سبيل الكسب أو اكتساب خبرات جديدة ويتقبل المصير تلفت نفسه أو سلمت .

(٣) راجع حلية الأولياء للأصفهاني ص ٨٢ الجزء ٩ .

(٤) هاب الرجل تهيبوه: خافوه وعظموه وحذروه - حقّروهم: احتقروهم، ازدراهم .



(١٩)

جَزَى اللَّهَ عَنَّا . . .

قال الربيع بن سليمان^(١) سمعت الإمام أبا عبد الله
الشافعي يقول:

جَزَى اللَّهَ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَرْزَلْتْ	بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَرْزَلْتِ ^(٢)
هُمْ خَلَطُونَا بِالنَّفُوسِ وَالْجَاوَا	إِلَى حُجَرَاتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظْلَلْتِ ^(٣)
أَبَوْا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنْ أَمْنَا	تُلَاقِي الَّذِي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلْتِ ^(٤)
وَقَالُوا هَلُمُّوا الدَّارَ حَتَّى تَبَيَّنُوا	وَتُنْجَلِي الْغَمَّاءَ عَمَّا تَجَلَّتِ ^(٥)
وَمَنْ بَعْدَ مَا كُنَّا لِسَلَمَى وَأَهْلِهَا	عَبِيدًا وَمَلَّثْنَا الْبِلَادُ وَمَلَّتِ

(١) نقلًا عن كتاب الرازي «آداب الشافعي ومناقبه» والربيع بن سليمان هو أبو محمد بن عبد الجبار الرمادي وكان من أصحاب الشافعي روى عنه الكثير من أخباره وكتبه وكانت وفاته في مصر سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣ م).

(٢) أرزلت بنا نعلنا: قُرِبت وقَدِمت، من أرزله: قَرَّبَه، والثلاثي المجرد زلف زلفًا وزليفًا: تقدَّم وتقرَّب وزلَّف الشيء قَدَمَه، وفي الكلام: زاد - الواطئين جمع واطيء: اسم فاعل من وطيء أي داس - زَلَّت الثعل: زلقت وسقطت.

(٣) الجَّاه (وهم الجَّاؤا): لجأ، عصم - الحجرات: جمع الحجرة وهي الغرفة، سميت حجرة لأنها تحجر الإنسان النائم أي تمنعه.

(٤) تلاقى: تجدد.

(٥) هَلُمُّوا: كلمة بمعنى الدعاء إلى شيء فتعال فتكون لازمة وقد تستعمل متعدية كما الحال هنا - تَبَيَّنُوا: تَبَيَّنُوا، من تَبَيَّن الأمر تعَرَّفَه وتَأَمَّلَه - تُنْجَلِي الْغَمَّاءَ: تنكشف - الْغَمَّاءَ: الحزن والكرب - وَلِيلَةُ غَمَّاءَ: طامس هلالها. وقال الرازي في كتابه مناقب الشافعي: إن هذه المقطوعة من الشعر الذي كان الإمام الشافعي يردده باستمرار هي لطيف الغنوي أحد شعراء الجاهلية.

(٢٠)

النَّاسُ دَاءٌ

وقال الإمام الشافعي يصف سمو أخلاقه وهي
عنوان الآداب الإسلامية والإنسانية المثلى:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَخِذْ عَلَى أَحَدٍ أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ^(١)
إِنِّي أَحْيِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ لِإِدْفَعِ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّجِيَّاتِ
وَأُظْهِرُ الْبَشَرَ لِلْإِنْسَانِ أُبْغِضُهُ كَمَا إِنْ قَدْ حَسَا قَلْبِي مَحَبَّاتِ^(٢)
النَّاسُ دَاءٌ وَدَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمْ وَفِي اغْتِزَالِهِمْ قَطْعُ الْمَوَدَّاتِ^(٣)

(٢١)

لَيْسَ عِنْدِي . . .

وقال الشافعي معبراً عن ألمه إذا عجز عن إسعاف
ذوي الحاجة من أهل المروءات^(٤):

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَالٍ أَفْرَقُهُ عَلَى الْمُقْلِينَ مِنْ أَهْلِ الْمُرَوَّاتِ^(٥)
إِنْ اغْتِذَارِي إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِي لَيْسَ عِنْدِي لِمَنْ إِحْدَى الْمُصِيبَاتِ^(٦)

(١) لم أحقد: لم اضغن، أي لم أحمل الضغينة والعداوة الراسخة والثابتة في القلب - أرحت نفسي: جعلتها ترتاح.

(٢) البشر: بشاشة الوجه - حسا قلبي: ملأه.

(٣) اغتزال الناس: البعد عنهم - يقول: إن معاشرة الناس وقربهم داء لا دواء له إلا اعتزالهم، علماً بأن الاعتزال يؤدي أيضاً إلى قطع روابط المودة.

(٤) انظر الشبلنجي: نور الإبصار، أيضاً: الرازي: مناقب الشافعي.

(٥) اللفف: الحزن والتحسر من لَهْفٍ يَلْهَفُ لَهْفًا على أي أصابته الحسرة على ما فات وانقضى، ويقال: والهِفْته كما يقال وانفساه وأمياه من لَهْفٍ نفسه أو أمه. ومثل لَهْفٍ تَلْهَفُ، تَلْهَفُ عليه: تحسر وتحرق حزناً - على المققلين: على المعوزين ذوي الحاجة والمسألة.

(٦) يرى الشافعي: أن الاعتذار للمحروم الذي يسأله العون، بعدم امتلاك المال أو الفقر مصيبة من المصائب ولهذا يندب حظّه لقلة ذات يده ولذا قال: يا لهف نفسي . . .

(٢٢)

كَبُرَ عَلَيْهِ

قال الإمام الشافعي يدعو إلى تحمّل صعاب التعلم
دفعاً لذلّ الجهل ووطأته في الحياة:

إصْبِرْ عَلَى مُرِّ الْجَفَا مِنْ مُعَلِّمٍ فَإِنَّ رُسُوبَ الْعِلْمِ فِي نَفَرَاتِهِ^(١)
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ مُرَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً تَجَرَّعَ ذُلَّ الْجَهْلِ طُولَ حَيَاتِهِ^(٢)
وَمَنْ فَاتَهُ التَّعْلِيمُ وَقْتُ شَبَابِهِ فَكَبُرَ عَلَيْهِ أَرْبَعاً لَوْفَاتِهِ^(٣)
وَذَاتُ الْفَتَى - وَاللَّهِ - بِالْعِلْمِ وَالتَّقَى إِذَا لَمْ يَكُونَا لَا اغْتِبَارَ لَذَاتِهِ^(٤)

(٢٣)

مَنْ لِي بِهِذَا؟

وقال الإمام الشافعي يصف شمائل الإخوان
الصادقين والأصدقاء الأوفياء القمينين بالودّ والثقة:

أَحَبُّ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ مُوَاتِي وَكُلُّ غَضِيضِ الطَّرْفِ عَنْ عَثْرَاتِي^(٥)
يُؤَافِقُنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ أُرِيدُهُ وَيَحْفَظُنِي حَيًّا وَبَعْدَ مَمَاتِي^(٦)

(١) الجفا: مخفف الجفاء من جفا يجفوا جفوا وجفاء فلاناً: أعرض عنه - رسوب العلم: ثباته في قرارة النفس والرسوب مصدر رسب (بالفتح) ورُسِبَ (بالضم) رسوباً ورسباً الشيء في الماء: سقط إلى أسفله وأرسب الشيء حطه إلى أسفل، فاستخدم الفعل مجازاً فقل: رسب في الامتحان أي سقط ولم ينجح - النفرات: جمع نفرة وهي المرة من نفر يقال: نفر نفرأ من كذا: أنف منه وكرهه ونفره: جعله ينفر.

(٢) يقول: ما لم يذق المرء مرارة التعلم فإنه يبقى طول حياته يتجرع الذلّ الناشئ عن الجهل.

(٣) فاته التعليم وقت الشباب: جاوزه وذهب عنه - يؤكد الشافعي أن التعلم أكثر رسوخاً في الصغر زمن الفتوة والشباب ومن هنا قيل «العلم في الصغر كالنقش في الحجر»، وهذا الرأي من المبادئ التي نادى بها المرتبون قديماً وحديثاً وهو منوط بما في الحداثة من يقظه في الحسّ والملكات فإذا جاوز المرء هذه السن تلبّد الذهن واستعصت عملية التعلم.

(٤) يؤكد قيمة العلم والتقوى في تكوين الذات الصالحة، فلا اعتبار لذات لم تفرز بهما.

(٥) المواتي: الموافق من أتى مؤاتاة (فلاناً) على الشيء: وافقه عليه - وآتاه: جاراه - غضيض (فعليل) الطرف: الذي يغض طرفه أي يخفضه ويكفّه ويكسره، وغض الطرف: منع بصره عما لا يحلّ له رؤيته - العثرات: الزلاّت والسقطات.

(٦) يقول الشافعي: إن أحبّ الإخوان إليه ليس الذي يجاريه ويغض طرفه عن عيوبه بل الذي يحفظه حياً =

فَمَنْ لِي بِهَذَا؟ لَيْتَ أَنِّي أَصَبْتُهُ لَقَّاسَمْتُهُ مَالِي مِنَ الْحَسَنَاتِ^(١)
تَصَفَّحْتُ إِخْوَانِي فَكَانَ أَقْلَهُمْ عَلَى كَثَرَةِ إِخْوَانِ أَهْلِ ثِقَاتِي^(٢)

(٢٤)

آلُ النَّبِيِّ ذُرِيعَتِي

ورد في كتاب «نور الأبصار»^(٣) للشبلنجي قول
الشافعي يذكر توسله بآل بيت النبي ورجاءه المعقود
عليهم:

آلُ النَّبِيِّ ذُرِيعَتِي وَهُمُ إِلَيْنِهِ وَسِيلَتِي^(٤)
أَرْجُو بِهِمْ أُعْطَى غَدًا بِيَدِي الْيَمِينِ صَحِيفَتِي^(٥)

(٢٥)

النَّاسُ بِالنَّاسِ

ومن شعر الإمام الشافعي في الحضّ على المكارم
ومحامد النفس قوله:

النَّاسُ بِالنَّاسِ مَا دَامَ الْحَيَاةُ بِهِمْ وَالسَّغْدُ لَا شَكَّ تَارَاتُ وَهَبَاتُ^(٦)

= وميتاً أي لا يطعن به ولا يستغيبه ويصون سمعته حتى بعد مماته.

(١) قوله: من لي بهذا؟ تعبير عن ندورة وجود مثل هذا الأخ أو الصاحب. وهو يتمنى أي يصيب في دنياه
مثل هؤلاء الإخوان أو واحداً على الأقل يقاسمه أي يشاركه ما يمتلك من الحسنات.

(٢) تصفّح الإخوان: تأملهم ونظر فيهم ملياً ليتعرّف أمورهم - يقول: إنه لم يجد بعد أن تعرف أمور إخوانه
إلا القليل منهم الذي يستحق أن يحضه الثقة.

(٣) الشبلنجي نور الإبصار في مناقب آل بيت النبي المختار.

(٤) الذريعة: جمع ذرائع، الوسيلة. يقال: هو ذريعتي إلى فلان أي هو وسيلتي. يقال: تدرّج بذريعة: أي توسّل بوسيلة.

(٥) الصحيفة: جمع صحائف وصحف: القرطاس المكتوب - يقول: إن آل بيت النبي وسيلته وذريعته إلى حسن
المآب والمصير وبِحَبِّهم ورضاهم يرجو أن يعطى يوم الحساب صحيفته بيمينه فيكون من المرضي عنهم لا
المغضوب عليهم. وقوله: بيمينه اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَوْتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ﴾
[الإسراء: ٧١]، وقوله أيضاً: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَاباً يَسِيراً، وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ
مَسْرُوراً، وَأَمَّا مَنْ أَوْتِي كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً﴾ [الانشقاق: ٧ - ١١].

(٦) تارات أو تير (بالياء) وتتر (بالحمز): جمع تارة. يقال: تارة بعد تارة أي حيناً بعد آخر أو مرّة بعد مرّة -
الهبات: جمع هبة وهي المرّة من هب أي ثار وهاج، وهب من النوم انتبه واستيقظ.

وَأَفْضَلَ النَّاسِ مَا بَيْنَ الْوَرَى رَجُلٌ تَقْضَى عَلَى يَدِهِ لِلنَّاسِ حَاجَاتُ^(١)
 لَا تَمْنَعَنَّ يَدَ الْمَعْرُوفِ عَنْ أَحَدٍ مَا دُمْتَ مُقْتَدِرًا فَالسَّعْدُ تَارَتْ^(٢)
 وَاشْكُرْ فَضَائِلَ صُنْعِ اللَّهِ إِذْ جَعَلْتَ إِلَيْكَ لَا لَكَ عِنْدَ النَّاسِ حَاجَاتُ
 قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ مَكَارِمُهُمْ وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتُ^(٣)

(٢٦)

لَا تُجِبْهُ

وقال الإمام الشافعي ناهياً عن مخاطبة السفيه
 ناصحاً بأن يكون سكوتك هو الجواب على نطقه:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ^(٤)
 فَإِنْ كَلِمَتُهُ فَرَّجَتْ عَنْهُ وَإِنْ خَلِيَّتْهُ كَمَدًا يَمُوتُ^(٥)

(٢٧)

قَدْ ضَلُّوا

وجاء في خزانة الأسرار لمحمد النازلي رأي
 الشافعي بالقضاة الذي باعوا الدين بالدنيا^(٦):

قُضَاءُ الدَّهْرِ قَدْ ضَلُّوا فَقَدْ بَايَتْ خَسَارَتُهُمْ
 فَبَاعُوا الدِّينَ بِالدُّنْيَا فَمَا رِبَحَتْ تِجَارَتُهُمْ^(٧)

(١) الورى: الناس - تقضي الحاجات للناس: أي تصنع من قضى حاجة فلان: أتمها وفرغ منها.

(٢) المعروف: العرفان، أي الجود وكل ما تعطيه - السعد: نقيض النحس.

(٣) يقول: كم أناس ماتوا وظلت أمجادهم حية يذكرون بها بينما يعيش قوم وكأنتهم أموات في الناس.

(٤) السفيه: الجاهل، عديم الحلم، الرديء الخلق - يدعو الشافعي إلى عدم الرد على السفيه الجاهل فالسكوت أنجع في التعامل معه من الإجابة والكلام.

(٥) خليته: تركته، أو لم تجبه - الكمد: الحزن الشديد والهم - يقول: إن الرد على السفيه فرج له ولكن السكوت يميته كمدًا.

(٦) انظر محمد حقي النازلي: خزانة الأسرار والخزينة المباركة والمراد بقضاة الدهر هنا أولئك الذين لا غرض لهم من إصدار الأحكام إلا كسب الوجاهة في الدنيا.

(٧) قد ضمن الإمام الشافعي هذا البيت معنى قوله تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ [البقرة: الآية ١٦].

(٢٨)

ما عَطَفُوا

حَدَّثَ عَبْدُ اللَّهِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي «حَلِيةِ الْأَوْلِيَاءِ» نَقْلًا
عَنْ أَبِي نَصْرٍ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ أَخِي
وَهْبَ يَقُولُ:

وَأَنْطَقَتِ الدَّرَاهِمُ بَغْدَ صَمْتٍ أَنْسَأَ بَعْدَمَا كَانُوا سُكُوتًا^(١)
فَمَا عَطَفُوا عَلَى أَحَدٍ بِفَضْلِ وَلَا عَرَفُوا لِمَكْرَمَةٍ تُبُوتًا^(٢)

(٢٩)

يَحْمِي حِمَاهُ

قَالَ الشَّافِعِيُّ مُشِيدًا بَيْتَا بَيْوتِ اللَّهِ نَاصِحًا بِالتَّمَاسِ
الْخَيْرِ عَنْهُمْ دُونَ سَوَاهِمَ:

إِذَا رُمَتْ الْمَكَارِمُ مِنْ كَرِيمٍ فَيَمُّمُ مِنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْتًا^(٣)
فَذَاكَ اللَّيْثُ مِنْ يَحْمِي حِمَاهُ وَيُكْرِمُ ضَيْفَهُ حَيًّا وَمَيْتًا^(٤)

(١) انظر حلية الأولياء للحافظ الأصبهاني (١٤٠/٩) - يقول: إن الدراهم أنطقت قوماً بعد أن كانوا

ساكتين، ولولا المال لظلوا سادرين في صمتهم أي لما كان لهم وجود يذكر.

(٢) يقول: إنهم لم يقدروا ما أنعم الله به عليهم فما أولوا أحداً العطف أو الفضل.

(٣) يَمُّمُ: الأمر من أَمَّ (المكان أو فلاناً): قصده - بنى الله بيتاً: أي بنى مسجداً والمساجد هي بيوت الله.

(٤) يقول: إن باني بيوت الله أشبه بالليث الذي يحمي عرينه وهو خليف بإكرام الضيف حياً وميتاً.



(٣٠)

لَرُبَّ نازِلَةٍ

قال الشافعي رضي الله عنه داعياً إلى عدم القنوط من
رحمة الله فهي الفرَج من الضيق إذا استحكمت حلقاته :

ولرُبَّ نازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا الْفَتَى ذَرْعاً وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ^(١)
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فُرِجَتْ، وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

(٣١)

عَدَاوَةُ الشَّعْرَاءِ دَاءٌ

جاء في «وفيات الأعيان» لابن خلكان قول الإمام
الشافعي رضي الله عنه :

مَاذَا يُخْبِرُ ضَيْفُ بَيْتِكَ أَهْلَهُ إِنَّ سَيْلَ كَيْفَ مَعَادُهُ وَمَعَاجُهُ^(٢)
أَيَقُولُ: جَاوَزْتُ الْفُرَاتَ وَلَمْ أَتْلُ رِيًّا لَدَيْهِ وَقَدْ طَعَّتْ أَمْوَاجُهُ
وَرَقِيتُ فِي دَرَجِ الْعُلَا فَتَضَايَقْتُ عَمَّا أُرِيدُ شِعَابُهُ وَفَجَاجُهُ^(٣)
وَلتُخْبِرَنَّ خَصَاصَتِي بِتَمَلُّقِي وَالْمَاءُ يُخْبِرُ عَنْ قَدَاهُ رُجَاجُهُ^(٤)
عِنْدِي يَوَاقِيتُ الْقَرِيضِ وَذُرَّةُ وَعَلَيَّ إِنْحِلِيلُ الْكَلَامِ وَتَاجُهُ^(٥)

(١) النازلة: المصيبة - ضاق ذرعاً: ملّ ويش - المخرج: طريق الخلاص .

(٢) المعاج: الميل من عاج إلى أو على المكان، يعوج عوجاً ومعاجاً: عطف وعاج عن غايته: رجع عنها .

(٣) الشعاب: جمع الشعب وهو الطريق بين جبلين - الفجاج: جمع فج وهو الطريق الواسعة بين جبلين .

(٤) الخصاصة: شدة الفقر - التملق: الزياء أي إظهار خلاف ما في القلب .

(٥) اليواقيت: جمع ياقوت وهو من الحجارة الكريمة وقوله يواقيت القريض من باب الاستعارة - الدر: اللؤلؤ .

تَرْبَى عَلَى رَوْضِ الرُّبَا أَزْهَارُهُ وَيَرْفُ فِي نَادِي النُّدَى دِيْبَاجُهُ^(١)
وَالشَّاعِرُ الْمُنْطِيقُ أَسْوَدُ سَالِحُ وَالشَّعْرُ مِنْهُ لُعَابُهُ وَمُجَاجُهُ^(٢)
وَعَدَاوَةُ الشُّعْرَاءِ دَاءٌ مُغْضِلٌ وَلَقَدْ يَهُونُ عَلَى الْكَرِيمِ عِلَاجُهُ^(٣)

(٣٢)

صَبْرًا جَمِيلًا

ذكر ابن كثير أن الإمام الشافعي اقتبس من الحديث
قول النبي ﷺ فقال^(٤):

صَبْرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الْفَرَجَا مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي الْأُمُورِ نَجَا
مَنْ صَدَقَ اللَّهَ لَمْ يَنْلُهُ أَذَى وَمَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا^(٥)

-
- (١) الرُّبَا: جمع رابية، المرتفع من الأرض - اللدياج: الحرير.
(٢) المنطيق: ذو المنطق والبلاغة - سَالِح: صفة الحيّة التي تسلخ جلدها كل عام - اللعاب: الريق -
المجاج: عصارة الشيء.
(٣) الداء المعضل: المستعصي.
(٤) انظر ابن كثير: البداية والنهاية.
(٥) لم ينله الأذى: لم يصبه.



(٣٣)

إِنَّ الْجَوَابَ مِفْتَاحُ

قال الإمام الشافعي مبيّناً فضيلة السكوت والصمت عن الجاهل :

قالوا سكّت وقد خُوصِمْتَ قُلْتَ لَهُمْ إِنَّ الْجَوَابَ لِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحُ^(١)
والصَّمْتُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ أَخْمَقٍ شَرَفٌ وَفِيهِ أَيْضاً لَصَوْنُ الْعِرْضِ إِضْلَاحُ^(٢)
أَمَا تَرَى الْأَسَدَ تُخْشَى وَهِيَ صَامِتَةٌ؟ وَالْكَلْبُ يُخْشَى لَعَمْرِي وَهُوَ نَبَّاحُ^(٣)

(٣٤)

مَعَاذَ اللَّهِ

جاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي^(٤) قوله : حَدَّثَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ بِرُقْعَةٍ فَنَظَرَ فِيهَا وَتَبَسَّمَ ، ثُمَّ كَتَبَ فِيهَا وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ . قَالَ : فَقُلْنَا لَيْسَ أَلِ الشَّافِعِيِّ عَنْ مَسْأَلَةٍ لَا نَنْظُرُ فِيهَا وَفِي جَوَابِهَا ؟ فَلَحَقْنَا الرَّجُلَ وَأَخَذْنَا الرُّقْعَةَ فَقَرَأْنَا وَإِذَا فِيهَا :

سَلِ الْمَفْتِيَّ الْمَكِّيَّ هَلْ فِي تَزْوَارٍ وَضَمَّةٌ مُشْتَقٌّ الْفُؤَادِ جُنَاحُ^(٥)
وقال : وَإِذَا إجابة أسفل من ذلك :

(١) خوصم : المجهول من خاصم مخاصمة (فلاناً) : نازعه وجادله .

(٢) الأحمق : الفاسد الرأي أو قليل العقل - صون العرض : حفظه ، والعرض : الشرف والمروءة وكل ما يجب حمايته .

(٣) يُخْشَى الكلب : يرمى بالحجارة والحصى .

(٤) ياقوت الحموي : معجم الأدباء (١٧/٣٠٥) .

(٥) المكّي : نسبة إلى مكّة المكرمة - تزوار : مصدر تزوار القوم زار بعضهم بعضاً فهم يتزاورون - الجناح : الإثم ومنه قولهم : ﴿ لا جناح عليك ﴾ ، وفي القرآن الكريم : ﴿ فلا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ﴾ [النساء : ٢٣] أو قوله تعالى أيضاً : ﴿ فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ﴾ [النساء : ١٠] .

أَقُولُ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يُذْهَبَ التَّقَى تَلَاصُقُ أَكْبَادٍ بِهِنَّ جِرَاحُ^(١)

قال الزبيع: فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا فقلت: يا أبا عبد الله تفتي بمثل هذا شاباً؟ فقال لي: يا أبا محمد هذا رجل هاشمي قد عرس هذا الشهر يعني شهر رمضان - وهو حدث السن، فسأل هل عليه بجناح أن يقبل أو يضم من غير وطء؟ فأفتيته بهذه الفتيا. قال الربيع فتبعث الشاب فسألته عن حاله فذكر لي أنه مثل ما قال الشافعي، فما رأيت فراسة أحسن منها.

(٣٥)

قاس وجَهولُ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

فَإِنِّي وَحَقُّ اللَّهِ إِيَّاكَ أَنْصَحُ^(٢) فَقِيهَا وَصُوفِيًّا فَكُنْ لَيْسَ وَاحِدًا
فَذَلِكَ قَاسٍ، لَمْ يَذُقْ قَلْبُهُ تُقَى وَهَذَا جَهولُ، كَيْفَ ذُو الْجَهْلِ يَصْلُحُ؟

(٣٦)

أَحْسَنُ بِالْإِنْسَانِ

ذكر البيهقي^(٣) أن الحسين بن عبد الرحمن أنشد

للإمام الشافعي قوله:

أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَرَضِخُ النَّوَى وَشُرْبُ مَاءِ الْقَلْبِ الْمَالِحَةِ^(٤)
أَحْسَنُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ حِرْصِهِ وَمِنْ سُؤَالِ الْأَوْجِهَةِ الْكَالِحَةِ^(٥)

(١) المعاذ: الملجأ. يقال معاذ الله ومعاذ وجه الله أي أعوذ بالله أو بوجه الله - يقول: وهو يستعيز بالله إن تقارب القلوب الجريحة لا يذهب التقى ولا يشكل وإنما.

(٢) الفقيه: العالم بالفقه، والفقيه من كان شديد الفهم عالماً ذكياً، والفقه هو العلم بالشيء والفهم له، والعلم بالأحكام الشرعية - الصوفي (في نظر جماعة الصوفية): من كان فانياً بنفسه باقياً بالله متصلاً بحقيقة الحقائق.

(٣) البيهقي: كتاب مناقب الشافعي (٦٥/٢)، وحسين بن عبد الرحمن هو أبو عبد الله الغزي.

(٤) رَضِخُ: مصدر رضخ النوى أو الحصى: كسره، والرَضِخُ النوى المكسّر - النوى: جمع نواة وهي عجمة التمر ونحوه أي حبّه أو بزره - ماء القلب: ماء البئر، والقلب جمع قَلْبٍ وَأَقْلَبَةٍ وَقَلْبُ الْبَثْرِ سَمِّيتَ بذلك لأنه قلب ترابها.

(٥) الحرص: الجشع والبخل - الأوجه الكالحة: العابسة - يقول وهو يقسم بالله أولى بالإنسان وأحسن لمروءته وكرامته أن يكسر النوى ويشرب ماء البئر المالحة من أن يكون جشعاً وبخيلاً ويستجدي اللؤماء أصحاب الوجوه الكالحة.

قافية الدال

(٣٧)

هُوَ الرَدَى

قال الأصبهاني في «حلية الأولياء»: حدثنا ابن القاسم قال: أُملى علينا الرّزير بن عبد الواحد يقول:
سمعت الحسن بن سفيان يقول: سمعت حرملة يقول: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول:

تَمَنَّى رَجَالٌ أَنْ أُمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ	فَتِلْكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ ^(١)
وما مَوْتُ مَنْ قَدْ مَاتَ قَبْلِي بِضَائِرِي	ولا عَيْشُ مَنْ قَدْ عَاشَ بَعْدِي بِمُخْلِدِي ^(٢)
لَعَلَّ الَّذِي يَزْجُو فَنَائِسِي وَيَدْعِي	بِهِ قَبْلَ مَوْتِي أَنْ يَكُونَ هُوَ الرَّدَى ^(٣)

(٣٨)

لَمْ أَرْ غَيْرَ شَامِتٍ

جاء في «نور الأبصار»^(٤) أن ابن عبد الحكم قال سمعت أشهب يدهو على الشافعي فذكر ذلك للإمام الشافعي فقال:

وَلَمَّا أَتَيْتُ أَطْلُبُ عَنْدَهُمْ أَخَا ثِقَةٍ عِنْدَ ابْتِلَاءِ الشَّدَائِدِ^(٥)

(١) لست فيها بأوحد: أي لست وحيداً.

(٢) ضائري: ضازي من الضّر وهو ضد التّقح - مَخْلِد: اسم فاعل من أخلده: جعله خالداً أي باقياً على مرّ الأيام.

(٣) الفناء: الرّوال - يدعي: يزعم - الرّدَى: الموت.

(٤) الشبلنجي نور الإبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ص ٧٣.

(٥) ابتلاء الشدائد: اختبارها، والشدائد: المحن والمصائب.

تَقَلَّبْتُ فِي دَهْرِي رَحَاءً وَشِدَّةً وَنَادَيْتُ فِي الْأَحْيَاءِ هَلْ مِنْ مُسَاعِدٍ
فَلَمْ أَرَ فِيهَا سَاءً نِي غَيْرَ شَامِتٍ وَلَمْ أَرَ فِيهَا سَرَّنِي غَيْرَ حَاسِدٍ^(١)

(٣٩)

مَا لَهُمْ عَدُوٌّ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

إِنِّي صَحِبْتُ النَّاسَ مَا لَهُمْ عَدُوٌّ وَكُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَدْ مَلَأْتُ يَدِي^(٢)
لَمَّا بَلَوْتُ أَخِلَاتِي وَجَدْتُهُمْ كَالدَّهْرِ فِي الْعَذْرِ لَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدٍ^(٣)
إِنْ غِبْتُ عَنْهُمْ فَشَرُّ النَّاسِ يَشْتِمُنِي وَإِنْ مَرِضْتُ فَخَيْرُ النَّاسِ لَمْ يَعِدْ^(٤)
وَإِنْ رَأَوْنِي بِخَيْرٍ سَاءَ هُمْ قَرَحِي وَإِنْ رَأَوْنِي بِشَرٍّ سَرَّهُمْ نَكَدِي^(٥)

(٤٠)

قُلْتُ: كَلَّا

وقال الإمام الشافعي :

قَالُوا تَرْفُضْتَ قُلْتُ: كَلَّا مَا الرُّفْضُ دِينِي وَلَا اغْتِقَادِي^(٦)
لَكِنْ تَوَلَّيْتُ غَيْرَ شَكٍّ خَيْرَ إِمَامٍ وَخَيْرَ هَادِي
إِنْ كَانَ حُبُّ الْوَلِيِّ رَفْضًا فَإِنَّ رَفْضِي إِلَى الْعِبَادِ^(٧)

(١) الشامت: الذي يفرح ببيلة الآخرين.

(٢) ملأ يده: نقيض فرغت يده، كناية عن الامتلاك والوثوق.

(٣) بلوت: اختبرت - الأخلاء: الخلان، الأصحاب.

(٤) لم يعد: لم يزر من عاده: زاره في مرضه.

(٥) التكد: الحزن والهم وسوء الطالع.

(٦) ترفض: صار على مذهب الرفض أو هي فرقة من أصحاب الشيعة، والزوافض هم الذين تركوا قائدهم في حرب أو سواء - الاعتقاد: العقيدة.

(٧) الولي: التصير، الحليف، الصهر، الصديق، المحب.

(٤١)

كَمْ ضَاحِكٍ

وجاء في العمدة^(١) : قال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

وَمُتَّعِبِ الْعَيْشِ مَرْتاحاً إِلَى بَلَدٍ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَدِ
كَمْ ضَاحِكٍ وَالْمَنَائِيَا فَوْقَ هَامِيهِ لَوْ كَانَ يَعْلَمُ غَيْباً مَاتَ مِنْ كَمَدٍ^(٢)
مَنْ كَانَ لَمْ يُؤْتَ عِلْماً فِي بَقَاءِ عَدٍ مَاذَا تَفَكَّرُهُ فِي رِزْقِ بَغْدٍ عَدٍ

(٤٢)

عَفَا اللَّهُ

جاء في معجم الأدباء^(٣) : قرأت في أمال أملاها أبو سليمان الخطابي
على بعض تلامذته ، قال الشيخ : كان الشافعي - رحمه الله تعالى - يوماً من
أيام الحج جالساً للنظر ، فجاءت امرأة فألقت إليه رقعة فيها بيتان : قال :
فبكى الشافعي - رحمه الله تعالى - وقال : ليس هذا يوم نظر ، هذا يوم
دعاء ، ولم يزل يقول : اللهم ، اللهم حتى تفرق أصحابه والبيتان هما :

عَفَا اللَّهُ عَنْ عَبْدٍ أَعَانَ بِدَعْوَةٍ خَلِيلَيْنِ كَانَا دَائِمَيْنِ عَلَى الْوُدِّ
إِلَى أَنْ مَشَى وَاشِي الْهَوَى بِنَمِيمَةٍ إِلَى ذَاكَ مِنْ هَذَا فَزَالَا عَنِ الْعَهْدِ^(٤)

(٤٣)

حَسْبُكَ حِظًّا

قيل :^(٥) جاء رجل إلى الشافعي ، فقال له : أصلحك الله : صديقك
فلان حليل . فقال الشافعي : والله لقد أحسنت إلي وأيقظتني لمكرمة
ودفعت عني اعتذاراً يشويه الكذب ، ثم قال :

أَرَى رَاحَةً لِلْحَقِّ عِنْدَ قَضَائِهِ وَيَثْقُلُ يَوْماً إِنْ تَرَكْتَ عَلَى عَمْدٍ^(٦)

(١) أي العمدة لابن رشيقي .

(٢) هامته : رأسه - الكمد : الحزن الشديد .

(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٣٠٦/١٧) .

(٤) واشي الهوى : العذول الذي يسمى لفرقة الأحبة - العهد : أي عهد الحب والوفاء له .

(٥) روى ذلك ياقوت في معجم الأدباء نقلاً عن خيشمة بن سليمان بن حيدرة .

(٦) قضاء الحق : تأديته وفعله بأحكام - ترك على عمد : أي متعمداً عن سابق تصور .

وَحَسْبُكَ حَظًّا أَنْ تُرَى غَيْرَ كَاذِبٍ وَقَوْلُكَ لَمْ أَعْلَمْ وَذَاكَ مِنَ الْجَهْدِ^(١)
وَمَنْ يَقْضِ حَقَّ الْجَارِ بَعْدَ ابْنِ عَمِّهِ وَصَاحِبِهِ الْأَذْنَى عَلَى الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
يَعِشُ سَيِّدًا يَسْتَعِذُّ النَّاسُ ذِكْرَهُ وَإِنْ نَابَهُ حَقُّ أَتَوْهُ عَلَى قَصْدِ^(٢)

(٤٤)

وَلَوْلَا خَشْيَةُ الرَّحْمَنِ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

ولولا الشُّغْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدِ^(٣)
وَأَشْجَعَ فِي الْوَعَى مِنْ كُلِّ لَيْثٍ وَآلِ مُهَلَّبٍ وَبَنِي يَزِيدِ^(٤)
ولولا خَشْيَةُ الرَّحْمَنِ رَبِّي حَسِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَبِيدِي^(٥)

(٤٥)

خَمْسُ فَوَائِدَ

وقال رضي الله عنه يعدد فوائد السُّفَرِ
والاغتراب^(٦) :

تَغْرُبُ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَسَافِرٌ فَنِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفْرُجُ هَمًّا، وَاکْتِسَابُ فِي مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ، وَأَدَابٌ، وَصُحْبَةُ مَاجِدِ^(٧)

(١) الجهد: المشقة.

(٢) يستعذب الناس ذكره: يجدونه عذبا ويرتاحون لسماعه - نابه الحق: أصابه.

(٣) يزري بالعلماء: يحط من قدرهم - لبيد: هو لبيد بن ربيعة من بني عامر، جاهلي مخضرم من أصحاب المملقات.

(٤) الوعى: الحرب - الليث: الأسد - آل مهلب وبني يزيد من قادة الحروب في الإسلام.

(٥) الخشية: الخوف والرهبة - الرحمن: الرحيم من أسماء الله الحسنى.

(٦) انظر مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من الزمان (٢٦/٢).

(٧) تفرج الهم: زوال شدته - الماجد: الكريم ذو المروءة.

(٤٦)

لا تَنَقْضِي . . .

وقال الشافعي رضي الله عنه يذكر كثرة محن
الزمان وقلة أعياد السرور فيه:

مَحْنُ الزَّمانِ كَثِيرَةٌ لا تَنَقْضِي وَسُرُورُهُ يَأْتِيكَ كالأَعْيادِ^(١)
مَلِكُ الأَكابرِ فَاسْتَرْقَ رِقابَهُم وَتَرَاهُ رِقاً فِي يَدِ الأَوْغادِ^(٢)

(٤٧)

خَلِّ الهَمَّ عَنِّي

وقال رضي الله عنه مفوضاً أمره إلى الله مؤمناً
بعنايته غير مهتم بشأن الغد طالما للغد رزقه الجديد:

إِذا أَصْبَحْتُ عِنْدِي قُوْتُ يَوْمِي فَخَلِّ الهَمَّ عَنِّي يا سَعِيدُ^(٣)
ولا تَخْطُرْ هُمُومُ غَدٍ بِبالي فَإِنَّ غَداً لَهُ رِزْقٌ جَدِيدُ^(٤)
أَسْلُمُ إِنْ أَرادَ اللهُ أَمِراً فَاتْرُكْ ما أريدُ لِمَا يُريدُ^(٥)

(٤٨)

لا تَيَأَسَنَّ . . .

وقال الشافعي رضي الله عنه داعياً إلى الإيمان
بـلطف الله وعفوه:

إِنْ كُنْتَ تَغْدُو فِي الذُّنُوبِ جَلِيداً وَتَخَافُ فِي يَوْمِ المَعادِ وَعِيداً^(٦)

(١) محن الزمان: مصائبه ونوائبه - يقول إن مصائب الزمن كثيرة لا تنتهي، لكن حسراته قليلة وهي أشبه بالأعياد لأنها محدودة ومعدودة.

(٢) الأكابر: جمع الأكبر اسم تفضيل من الكبير - استرق رقابهم استعبدتهم - الرق: العبد - الأوغاد جمع وغد وهو المرذول من الناس أو الأحمق الضعيف العقل.

(٣) قوت يومي: حاجة يومي من الطعام التي تسد رمقي ويقوم بها بدني - خَلِّ الهَمَّ: دع الهَم.

(٤) لا تخطر ببالي: لا أفكر بها.

(٥) يقول: أنني أسلم أمري إلى إرادة الله، جاعلاً إرادتي أرادته.

(٦) الجليلد: ضد البليد - يوم المعاد: يوم الحساب والنشور - الوعيد: التهديد.

فَلَقَدْ أَتَاكَ مِنَ الْمُهَيِّمِينَ عَفْوُهُ وَأَفْضَلَ مِنْ نِعَمِ عَلَيْكَ مَزِيدًا^(١)
 لَا تَيَاسَسَنَّ مِنْ لُطْفِ رَبِّكَ فِي الْحَشَا فِي بَطْنِ أُمِّكَ مُضْغَةً وَوَلِيدًا^(٢)
 لَوْ شَاءَ أَنْ تَصْلَى جَهَنَّمَ خَالِدًا مَا كَانَ إِلَهُمَ قَلْبِكَ التَّوْحِيدًا^(٣)

(٤٩)

الْخَلْقُ لَيْسَ بِهَادٍ

قيل^(٤): حدثنا محمد بن إبراهيم قال: حدثنا
 شعيب بن محمد الذبيلي قال: أنشدنا الشافعي:

لَيْتَ الْكِلَابَ لَنَا كَانَتْ مُجَاوِرَةً وَلَيْتَنَا لَا نَرَى مِمَّا نَرَى أَحَدًا^(٥)
 إِنَّ الْكِلَابَ لَتَهْدِي فِي مَوَاطِنِهَا وَالْخَلْقُ لَيْسَ بِهَادٍ، شَرُّهُمْ أَبَدًا^(٦)
 فَاهْرُبْ بِنَفْسِكَ وَاسْتَأْنِسْ بِوَحْدَتِهَا تَبَقَّ سَعِيدًا إِذَا مَا كُنْتَ مُنْفَرِدًا^(٧)

(٥٠)

تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ

قيل^(٨): حدثنا محمد بن إبراهيم قال: حدثنا
 يوسف بن عبد الأحد قال: قلت للمزني كان الشافعي
 يتراوح بين بيتين من الشعر ما هما؟ فأنشدني:

يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مَنَاهُ وَيَأْبَى إِلَهَ إِلَّا مَا أَرَادَ^(٩)
 يَقُولُ الْمَرْءُ فَإِذْنِي وَمَالِي وَتَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا

(١) المهيمين: من أسماء الله الحسنى، بمعنى المؤمن الذي يجعل خلقه في أمن من الخوف، والمهيمين القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم - أفاض المزيد من نعمه: جاد وأعطى المزيد منها.

(٢) في الحشا: أي وأنت في أحشاء أمك منذ كنت مضغة.

(٣) تصلى جهنم: أي تصلى نار جهنم - التوحيد: الإيمان بوحداية الله.

(٤) انظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني (١٤١/٩).

(٥) وفي رواية الربيع: وإنا في موضع ليتنا.

(٦) وروي أيضاً: في مراجعها، في موضع في مواطنها.

(٧) وفي رواية الربيع أيضاً فانج في موضع فاهرب.

(٨) انظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٥١/٩).

(٩) مناه: أمنيته، أي ما يريده ويتمناه.

(٥١)

عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ

وقال الإمام الشافعي في عداوة الحساد^(١):

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى مَوَدَّتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ
وَمُتَعَبُ الْعَيْشِ مُزْتَاكِحاً إِلَى بَلَدٍ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَدِ

(١) انظر نور الأبصار للشبلنجي، حيث ورد البيتان الأول والثاني، وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة (١٠/٢)، حيث ورد البيت الأول مصدراً بقوله: كل العداوة قد ترجى إمامتها.



(٥٢)

لَسْتُ بِخَاسِرٍ

وقال الشافعي مادحاً سكوته فهو عنده لا خسر فيه :

وَجَذْتُ سُكُوتِي مَتَجَرّاً فَلَزِمْتُهُ إِذَا لَمْ أَجِدْ رِبْحاً فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ^(١)
وما الضمْتُ إلاّ في الرّجالِ متاجرٌ وتاجرُهُ يَغْلُو عَلَى كُلِّ تاجرٍ

(٥٣)

لا أذري

جاء في معجم الأدباء^(٢) عن أبي بكر ابن بنت
الشافعي، قال الشافعي بمكة وقد أراد الخروج إلى
مضر :

لَقَدْ أَضْبَحْتُ نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى مِضْرٍ وَمِنْ دُونِهَا أَرْضُ الْمَهَامِهِ وَالْقَفْرِ^(٣)
فَوَالله لا أذري أَلْفَوْزٍ وَالْغِنَى أَسَاقُ إِلَيْهَا أَمْ أَسَاقُ إِلَى الْقَبْرِ

(١) يقول لزمت السكوت : لأنه أشبه بمتجر غير خاسر .

(٢) وورد الخبر أيضاً في العقد الفريد لابن عبد ربه (٣/٢٢) ، نقلاً عن أبي سعيد المكي .

(٣) تتوق : تشنق وتحن - المهامه : جمع المهمة ، والمهمة كما جاء في لسان العرب المفازة البعيدة والجمع مهامه ، والمهمة أيضاً : الخرق الأملس الواسع ، وعن الليث : المهمة الغلاة بعينها لا ماء فيها ولا أنيس ويقال : المهمة البلدة المقفرة ، كما في قول الشاعر :

فِي تَبِهِ مَهْمَةٍ كَأَنَّ صَوْتَهَا أَيْدِي مَخَايِمَةٍ تَكْفُفُ وَتَنْهَدُ
وفي حديث قس : المهمة المفازة والبرية القفر .

(٥٤)

إِلَّا . . .

وقال داعياً إلى حفظ ماء الوجه وعدم الخضوع إلا
للباريء العظيم:

وَضُنِ الْوَجْهَ أَنْ يَذِلَّ وَيَخْ ضَعَ إِلَّا لِلطَّيْفِ الْخَبِيرِ^(١)

(٥٥)

... مِثْلُ ظَفْرِكَ

جاء في نور الأبصار^(٢) قول الإمام الشافعي:

مَا حَكَ جِلْدَكَ مِثْلُ ظَفْرِكَ فَتَوَلَّ أَنْتَ جَمِيعَ أَمْرِكَ^(٣)
وَإِذَا قَصَدْتَ لِحَاجَةً فَأَفْ صِدْلِ مُغْتَرِفٍ بِقَدْرِكَ^(٤)

(٥٦)

لَمْ أَجِدْ لِي صَاحِباً

وقال رضي الله عنه:

كُنْ سَائِراً فِي ذَا الزَّمَانِ بِسَيْرِهِ وَعَنِ الْوَرَى كُنْ رَاهِباً فِي دَيْرِهِ^(٥)
وَاجْسِلْ يَدَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ وَاخْذَرْ مَوَدَّتَهُمْ تَنْلُ مِنْ خَيْرِهِ^(٦)
إِنِّي أَطْلَعْتُ فَلَمْ أَجِدْ لِي صَاحِباً أَصْحَبُهُ فِي الدَّهْرِ وَلَا فِي غَيْرِهِ
فَتَرَكْتُ أَسْفَلَ هُمْ لَكَثْرَةِ شَرِّهِ وَتَرَكْتُ أَعْلَاهُمْ لِقِلَّةِ خَيْرِهِ^(٧)

(١) صن الوجه: احفظه - يقول الإمام الشافعي احفظ ماء وجهك من المذلة ولا تخضع إلا لله اللطيف الخبير.

(٢) انظر الشبلنجي نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ص ٧٩.

(٣) يدعو الإمام الشافعي إلى الاعتماد على النفس في كل الأمور وعدم الاتكال على أحد، متمثلاً بحك الظفر للجلد، فالأولى أن يحك المرء جلده بظفره هو دون غيره.

(٤) ينصح بأن يطلب الإنسان حاجته عند من يقدره حق قدره وإلا لا يجد المرء من يقضي له حاجته.

(٥) الورى: الناس.

(٦) يدعو إلى الحذر من الزمان وأهله لأن مودة الناس ليست في الغالب صادقة ولا دائمة.

(٧) يقول إنه عرض عن الناس: لأن أسفلهم كثير الشر وأعلاهم قليل الخير.

(٥٧)

فَوْقَ أَمْرِي

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

أفكرُ في نَوَى إلفي وصَبْرِي وأخمدُ همَّتي وأذمُّ دَهْرِي^(١)
وما قَصَّرتُ في طَلَبٍ وَلَكِنْ لَرَبِّ النَّاسِ أَمْرٌ فَوْقَ أَمْرِي^(٢)

(٥٨)

هُنَاكَ وَهَاهُنَا

وقال الشافعي مفتياً^(٣) بقوله :

هناكَ مَظْلُومَةٌ غَالَتْ بِقِيَمَتِهَا وهَاهُنَا ظَلَمَتْ هَانَتْ عَلَى الْبَارِي

(٥٩)

لَيْسَ كَثِيراً

ورد في مناقب الشافعي للبيهقي^(٤) قول الإمام
الشافعي رضي الله عنه :

وأَكْثَرُ مِنَ الْإِخْوَانِ مَا اسْطَغَتْ إِنْهُمْ بَطُونٌ إِذَا اسْتَنْجَذَتْهُمْ وَظُهُورٌ^(٥)
وليس كثيراً ألفٌ لِوَاحِدٍ وإنَّ عَدُوًّا وَاحِداً لَكَثِيرٌ^(٦)

(١) النوى: البعد - الإلف: الصاحب أو الصديق أو الحبيب الذي نألفه .

(٢) يقول إن أمر الله فوق كل أمر .

(٣) جاء هذا في زهر الربيع وقد قيل بأن المظلومة المعنية في أول البيت هي دية اليد إذا قطعت ظلماً فإن كانت يد حُرٍّ شريف ففداؤها خمسمائة دينار ذهباً، المظلومة الثانية فهي يد السارق لأنها قد تقطع بسبب سرقتها شيئاً بخساً قد لا تزيد قيمته على جزء من الدينار .

(٤) انظر أيضاً تنبيه المغترين للشعراني ص ٩٩ .

(٥) يدعو إلى الإكثار من الإخوان وهو يعني الصادقين الأوفياء لأنهم أعوان الإنسان في النوائب والأحداث .

(٦) يقول: لا تستكثر أن يكون معك ألف من الإخوان، فالكثير العدو ولو كان واحداً .

(٦٠)

قِيلَ لِي . . .

جاء في «نور الأبصار»^(١) قول الإمام الشافعي :

قِيلَ لِي قَدْ أَسَى عَلَيْكَ فُلَانٌ وَمُقَامُ الْفَتَى عَلَى الذُّلِّ عَارٌ^(٢)
قُلْتُ قَدْ جَاءَنِي وَأَخَذْتُ عُذْرًا دِيَةُ الذَّنْبِ عِنْدَنَا الْاِغْتِدَارُ^(٣)

(٦١)

لَكُنْتِي رَاضٍ

وقال الشافعي رضي الله عنه :

وَمَا كُنْتُ أَزْضَى مِنْ زَمَانِي بِمَا تَرَى وَلَكِنِّي رَاضٍ بِمَا حَكَمَ الدَّهْرُ^(٤)
فَإِنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ خَانَتْ عُهْدَنَا فَإِنِّي بِهَا رَاضٍ وَلَكِنَّهَا قَهْرُ

(٦٢)

إِغْتَرَزَتْ بِهَا

وقال الشافعي رضي الله عنه يصف عوايق الاغترار

بأيام الدهر وليلاليه :

تَاهَ الْأَعْيُرُجُ وَاسْتَعْلَى بِهِ الْخَطَرُ فَقُلْ لَهُ خَيْرُ مَا اسْتَعْمَلْتُهُ الْحَذَرُ^(٥)
أَخْسَنْتَ ظَنُّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حُسْنَتْ وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَسَأَلَمْتُكَ اللَّيَالِي فَاعْتَرَزَتْ بِهَا وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَخْذُلُ الْكَدَرُ^(٦)

(١) الشبلنجي : نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار.

(٢) أسى عليك : حزن فهو آس - المقام (بضم الميم) : الإقامة وموضعها وزمانها والمقام : (بفتح الميم) : المنزلة المرتبة .

(٣) الدية : جمع ديات ، ما يعطى من المال بدل نفس القاتل وأصلها ودي والتاء عوض الواو المحذوفة كما في عدة .

(٤) وفي رواية : وما كنت راض والصواب ما أثبتناه .

(٥) تاه : تكبر وزها - استعلی : تكبر وترفع - الخطر : السبق أو ما يراهن عليه - الحذر : الاحتراس .

(٦) سألمتك الليالي : لم تعادك - صفو : صفاء - الكدر - تقيص الصفاء .

(٦٣)

الدَّهْرُ يَوْمَانِ

وقال الإمام الشافعي في ثقلب الدهر بين الصفو والكدر:

الدَّهْرُ يَوْمَانِ ذَا أَمْنٍ وَذَا خَطَرٍ والعَيْشُ عَيْشَانِ ذَا صَفْوٍ وَذَا كَدَرٍ
أَمَّا تَرَى الْبَحْرَ تَغْلُو قَوْقَهُ جَيْفٌ وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَاعِهِ الدُّرَرُ^(١)
وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ^(٢)

(٦٤)

وَحَدَّثِي أَلْدُّ

وقال الإمام أبي عبد الله الشافعي في وصف استثناسه بالوحدة:

إِذَا لَمْ أَجِدْ خِلاً تَقِيّاً فَوَحَّدْتِي أَلْدُّ وَأَشْهَى مِنْ غَوِيٍّ أَعَاشِرُهُ^(٣)
وَأَجْلِسْ وَخَدِي لِلْعِبَادَةِ آمِناً أَقْرُ لِعَيْنِي مِنْ جَلِيسٍ أَحَافِزُهُ^(٤)

(٦٥)

لَسْتُ أَعْدَمُ قُوْتاً

وقال الإمام الشافعي مخاطباً جبال جزيرة سرنديب مقيداً بهمته القمساء:

أَمْطِرِي لُؤْلُؤاً جِبَالِ سِرْنَدِيبَ بَ وَفِيضِي أَبَارَ تَكْرُورَ تَبْرَا^(٥)

(١) الجيف: جمع جيفة وهي الجنة التنتة - تستقر: ترسو وتثبت - أقصى القاع: قرارته - الدرر: جمع درة وهي اللؤلؤة العظيمة.

(٢) يكسف: يحجب من كسف الشيء غطاءه، وكسوف الشمس احتجابها نهاراً لحلول القمر بينها وبين الأرض.

(٣) الخل: الصاحب - تقياً: ورعاً يخشى غضب الله فيتقيه بالعبادة والسيره الحسنة - الغوي الضال من غوى غيياً: ضلّ فهو غاوٍ وغاوي، وفي هذا قول دريد بن الصمة معبراً عن عصبيته القبلية:

وما أنا إلا من غزيرة إن غوث غوث وإن ترشد غزيرة أرشد

(٤) أقر لعيتي: أكثر قرأ، أي اطمئنناً لها - أحافزه من حاذر أي حذر كل الآخر.

(٥) جبال سرنديب: جبال جزيرة سرنديب، وهي كما ذكر ياقوت في معجم البلدان في أحد بحار الهند =

أَنَا إِنْ عِشْتُ لَسْتُ أَغْدَمُ قُوتاً وَإِذَا مِتْ لَسْتُ أَغْدَمُ قَبِراً
هَمَّتِي هَمَّةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِي نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كُفْراً^(١)
وَإِذَا مَا قَنِعْتُ بِالْقُوتِ عُمْرِي فَلَمَّادَا أَزُورُ زَيْدًا وَعُمْرًا

(٦٦)

كَانَتْ أَجَلٌ

ورد في المستطرف^(٢) ونور الأبصار^(٣) قول
الشافعي:

عَلَيَّ ثِيَابٌ لَوْ يُبَاعُ جَمِيعُهَا بَفَلْسٍ لَكَانَ الْفِلْسُ مِنْهُنَّ أَكْثَرًا^(٤)
وَفِيهِنَّ نَفْسٌ لَوْ تُقَاسُ بِبَعْضِهَا نُفُوسُ الْوَرَى كَانَتْ أَجَلٌ وَأَكْبَرًا^(٥)
وَمَا ضَرَّ نَضَلَ السَّيْفِ إِخْلَاقُ غَمْدِهِ إِذَا كَانَ عَضْبًا أَيْنَ وَجْهَتُهُ فَرَى^(٦)

(٦٧)

أَطَاعَكَ وَأَجَلَّكَ

وقال الشافعي رضي الله عنه:

إِقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا إِنْ بَرَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْ فَجَرًا^(٧)

= القصيدة يقال له هركند. وقيل: في جبال سرنديب الجبل الذي هبط عليه آدم وهو الزهون وهو جبل عال يرى من مسافة بعيدة وفي هذا الجبل أثر قدم واحدة من قدمي آدم في حجر الجبل وطول هذا الأثر أو القدم سبعون ذراعاً تقريباً، وأما القدم الثانية كما تقول الروايات فقد كانت في البحر - تكرور: مناطق قوم من السودان في أقاصي بلاد المغرب وسكانها من الزنوج كما جاء في معجم البلدان لياقوت.

(١) يقول: إنَّ همته عالية أشبه بهمم الملوك وأن نفسه حرة تأنف من الذل والصغار كأنهما كفر.

(٢) هو المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيبي.

(٣) هو نور الإبصار في مناقب آل بيت النبي المختار للشبلنجي.

- وقد وردت هذه الأبيات على لسان الشافعي حين أراد الخروج من مكة إلى مصر حسب رواية أبي بكر

ابن بنت الشافعي. قيل: أنه خرج فقطع عليه الطريق فدخل بعض المساجد ولم يكن عليه إلا حزمة، فدخل الناس وخرجوا فلم يتب إليه أحد أو يلتفت إليه فقال (انظر الأبيات أعلاه).

(٤) يصف ثيابه البخسة التي كان يرتديها والتي لا تساوي فلساً.

(٥) يقارن نفسه الكبيرة بثيابه البخسة ويصفها بأنها أعظم من نفوس الناس والخلق جميعاً.

(٦) إخلاق غمد السيف: كونه خلقاً أي بالياً - السيف العضب: القاطع - فرى السيف: قطع.

(٧) معاذير: اعتذارات جمع معذرة - برّ: من البرّ وهو الإحسان ونقيض البرّ الإساءة والفجور.

لَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ وَقَدْ أَجَلَّكَ مَنْ يَغْصِيكَ مُسْتَتِرًا^(١)
(٦٨)

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي . . .

وقال الشافعي واعظاً داعياً إلى العمل الصالح لأنه
السبيل إلى جنان الخلد:

يَا مَنْ يُعَانِقُ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا يُنْفِسِي وَيُضْبِحُ فِي دُنْيَاهُ سَفَارًا^(٢)
هَلَا تَرَكْتَ لِذِي الدُّنْيَا مَوَانِقَ حَتَّى تُعَانِقَ الْفِرْدَوْسَ أَبْكَارًا^(٣)
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جِنَانَ الْخُلْدِ تَسْكُنُهَا فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تَأْمَنَ النَّارَ^(٤)
(٦٩)

تَعْلَمُ

وقال الشافعي رضي الله عنه:

تَعْلَمُ مَا اسْتَطَعْتَ تَكُنْ أَمِيرًا وَلَا تَكْ جَاهِلًا تَبْقَى أَسِيرًا
تَعْلَمُ كُلَّ يَوْمٍ حَرْفٍ عِلْمٍ تَرَى الْجُهَالَ كُلَّهُمْ حَمِيرًا^(٥)
(٧٠)

مِنَ الشَّقَاوَةِ

وقال الإمام^(٦) الشافعي رضي الله عنه:

وَمِنَ الشَّقَاوَةِ أَنْ تُحِبَّ — بَ وَمَنْ تُحِبُّ يُحِبُّ غَيْرَكَ

(١) أَجَلَّكَ: من الإجلال وهو الاحترام والتعظيم.

(٢) السَفَار: المسافر، والكثير السفر.

(٣) الفردوس: الجنة - وقوله: ابكأراً مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [سورة الواقعة الآية ٣٦].

(٤) تبغي: تطلب - الجنان: جمع جنة، وهي الفردوس الموعود.

(٥) يدعو إلى التعلم وعدم الاستهتار بالحرف الواحد من العلم لأن هذا له شأنه في جني ثمرات المعرفة، وهكذا يصبح الجهال حميراً بالقياس إلى متعلم الحرف.

(٦) الرازي: الشافعي ومناقبه.

أَوْ أَنْ تُرِيدَ الْخَيْرَ لِلْإِنْسَانِ وَهُوَ يُرِيدُ ضَيْرَكَ^(١)

(٧١)

كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا

جاء في معجم الأدباء^(٢) حَدَّثَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ
الزَّعْفَرَانِيُّ قَالَ: سَأَلَ الشَّافِعِيَّ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَ عَنْهَا
ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

إِذَا الْمُشْكِلَاتُ تَصَدَّيْنِ لِي كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا لِلنُّظَرِ^(٣)
لِسَانٌ كَشِيشِقَةٍ الْأَرْحَبِ يَّيْ أَوْ كَالْحُسَامِ الْيَمَانِيِّ الدُّكْرِ^(٤)
وَلَسْتُ بِإِمْعَةٍ فِي الرَّجَا لِأَسْأَلُ هَذَا وَذَا مَا الْخَبَرِ^(٥)
وَلَكِنِّي مِدْرَهُ الْأَضْغَرِ بِنِ جَلَابُ خَيْرٍ وَفَرَاخُ شَرِّ^(٦)

(٧٢)

نَاطِرُ فِي سُكُونٍ

وقال الشافعي يدعو إلى التناظر الهادئ وينهى عن
اللحاجة والمكابرة:

إِذَا مَا كُنْتَ ذَا فَضْلٍ وَعِلْمٍ بِمَا اخْتَلَفَ الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرُ^(٧)

(١) الضير: الضرر والأذى.

(٢) ياقوت: معجم الأدباء (٣٨٦/٦) والحسين الزعفراني من الفقهاء وأصحاب الحديث، روى الكثير من أخبار الشافعي وآرائه وفتاويه. كان الزعفراني ضليعاً في اللغة طويل الباع بقضاياها ومسائلها كانت وفاته في أواسط القرن الثالث للهجرة في نحو السنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢ م).

(٣) وفي رواية: بالنظر في موضع للنظر - تصدى له: تعرض.

(٤) الشقشقة: شيء كالرثة يخرج من فم البعير عند هياجة، ولا يقال شقشقة إلا للإبل العربية، وتطلق اللفظة مجازاً على الخطباء فيقال شقشقة الخطيب استعارة من شقشقة البعير.

(٥) الإنمعة في الرجال: من ليس له رأي يقوله لأن آراءه وإرادته هي آراء الآخرين وإرادتهم.

(٦) المدرة: زعيم القوم الذاند عنهم بيده ولسانه فهو هكذا لسان القوم - الأصفران: هما القلب واللسان ولذا يقال المرء بأصغريه تنوياً بقلبه أي عقله المدبر ولسانه المفسح المبين - جلاب: كثير الجلب والجلب مصدر جلب الشيء: أتى به، أحضره - فزاج: الكثير الافراج. يقول: إنه فصيح بليغ ذكي القلب بليغ اللسان قادر على تحقيق الخير وإحضاره ودفع الشر.

(٧) الأوائل: الأقدمون والأواخر المحدثون والمتأخرون زمناً.

فَنَاطِزٌ مِنْ تُنَاطِزٍ فِي سُكُونٍ
يُفِيدُكَ مَا اسْتَفَادَ بِلا امْتِنَانٍ
وَإِيَّاكَ اللَّجُوجَ وَمَنْ يَرَائِي
فَإِنَّ الشَّرَّ فِي جَنَبَاتِ هَذَا
حَلِيمًا لَا تُلِخَ وَلَا تُكَابِزُ
مِنْ الثُّكَّتِ اللَّطِيفَةِ وَالنُّوَادِزِ^(١)
بِأَنِّي قَدْ عَلَبْتُ وَمَنْ يُفَاخِرُ^(٢)
يُمَنِّي بِالتَّقَاطُعِ وَالتَّدَابِزِ^(٣)

(١) الثُّكَّت: جمع نكتة وهي الطرفة والنادرة.

(٢) اللجوج: الملحاح - المرائي: مي المراءاة وهي الخداع والمخاتلة والتظاهر بخلاف ما في الباطن.

(٣) التقاطع والتدابير: أي القطيعة وعدم التواصل.



(٧٣)

قَلِيلُ الْحَمْلِ لِلدَّنَسِ

وقال الإمام الشافعي يدعو من جعل نفسه واعظاً
للناس أن يصون نفسه من العيب والدنس . . .

يَا مَنْ يُعَدُّ عَلَيْهِ الْعُمْرُ بِالتَّفَسِّ	يَا وَاغْظُ النَّاسَ عَمَّا أَنْتَ فَاعِلُهُ
إِنَّ الْبَيَاضَ قَلِيلُ الْحَمْلِ لِلدَّنَسِ ^(١)	إِخْفَظْ لِشَيْبِكَ مِنْ عَيْبٍ يُدْنِسُهُ
وَثَوْبُهُ غَارِقٌ فِي الرَّجْسِ وَالتَّجَسِّ ^(٢)	كَحَامِلٍ لِثِيَابِ النَّاسِ يَغْسِلُهَا
إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ ^(٣)	تَبْغِي النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَتَهَا
مَا كُنْتُ تَرْكَبُ مِنْ بَغْلٍ وَمِنْ فَرَسٍ ^(٤)	رُكُوبَكَ التَّعَشُّ يُنْسِيكَ الرُّكُوبَ عَلَى
وَضَمَّةِ الْقَبْرِ تُنْسِي لَيْلَةَ الْعُرْسِ	يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا مَالَ وَلَا وَلَدٌ

(٧٤)

قَرِيبٌ مِنْ عَدُوٍّ

وقال الإمام الشافعي في الصديق الصدوق ودوره
في أوقات الشدة والحاجة للناسي :

صَدِيقٌ لَيْسَ يَنْفَعُ يَوْمَ بُؤْسٍ قَرِيبٌ مِنْ عَدُوٍّ فِي الْقِيَاسِ^(٥)

(١) يدنسه : يلطّخه بمكروه أو قبيح - الدنس : الوسخ .

(٢) الرّجس : القذر .

(٣) تبغي النجاة : تريد الخلاص - اليبس : الأرض اليابسة .

(٤) التعش : سرير الميت .

(٥) القياس : المشابهة ، والقياس قول مركب من قضيا إذا سلّم بها لزم عنها لذاتها قول آخر كما لو قلنا الطائر له جناحان ، العصفور له جناحان فالعصفور طائر .

وما يَبْقَى الصَّدِيقُ بِكُلِّ عَضِرٍ وَلَا الْإِخْوَانُ إِلَّا لِلتَّاسِي^(١)
فَعَبَزْتَ الدَّهْرَ مُلْتَمِساً بِجَهْدِي أَخَا ثِقَةٍ فَأَلْهَانِي التِّمَاسِي^(٢)
تَنَكَّرْتَ الْبِلَادَ وَمَنْ عَلَيْهَا لَكِنَّ أَنْاسَهَا لَيْسُوا بِنَاسِ

(٧٥)

اللَّهُ ذُو الْآلَاءِ

وقال يسأل الله اليقين والعون في الدنيا والآخرة:

قَلْبِي بِرَحْمَتِكَ اللَّهُمَّ ذُو أَنْسٍ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ وَالْإِصْبَاحِ وَالْعَلَسِ^(٣)
وَمَا تَقَلَّبْتُ مِنْ نَوْمِي وَفِي سِنَّتِي إِلَّا وَذِكْرُكَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالنَّفْسِ^(٤)
لَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ قَلْبِي بِمَغْرِفَةٍ بِأَنَّكَ اللَّهُ ذُو الْآلَاءِ وَالْقُدُسِ^(٥)
وَقَدْ أَتَيْتُ ذُنُوباً أَنْتَ تَعْلَمُهَا وَلَمْ تَكُنْ فَأُضْحِي فِيهَا بِفِعْلِ مَسِي^(٦)
فَامُنُّنٌ عَلَيَّ بِذِكْرِ الصَّالِحِينَ وَلَا تَجْعَلْ عَلَيَّ إِذَا فِي الدِّينِ مِنْ لَبْسِ^(٧)
وَكُنْ مَعِيَ طُولَ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي وَيَوْمَ حَشْرِي بِمَا أُنْزِلَتْ فِي عَبَسِ^(٨)

(٧٦)

لَقَلْعُ ضِرْسٍ أَهْوَنُ . . .

وقال الإمام الشافعي يصف وطأة السؤال على نفس

العزیز الأبي:

لَقَلْعُ ضِرْسٍ وَضَرْبُ حَبْسٍ وَنَزْعُ نَفْسٍ وَرَدُّ أَمْسٍ^(٩)

(١) التَّاسِي: من تَأَسَى القوم عَزَى بعضهم بعضاً.

(٢) عَبَزْتَ الدَّهْرَ: أي اجتزته عبر الزمان - ألْهَانِي: جعلني ألهو - الْإِصْبَاحُ: الطَّلَبُ.

(٣) الْجَهْرُ: نقيض: السِّرِّ، الجهر البوح بالشيء وإعلانه - الْمَغْلَسُ: من الغلس وهو ظلمة الليل.

(٤) السَّنَةُ: التَّعَاسُ أو التَّوَمُ. وفي رأى السنة أول النوم، وفي رأى آخر النوم إذا ثقل واستبد بصاحبه.

(٥) الْآلَاءُ: النِّعَمُ، جمع إلى.

(٦) أَتَيْتُ ذُنُوباً: ارتكبتها - فَعِلْ مَسِي: فعل مسيء.

(٧) اللَّيْسُ: الالتباس وهو اختلاط الأمور.

(٨) يَوْمَ الْحَشْرِ: يوم الحساب في الآخرة - فِي عَبَسِ: التفات إلى قوله تعالى في سورة عبس: ﴿وَجْهٌ

يَوْمئذٍ مُسْفَرٌ . . .﴾.

(٩) قلع الضرس: نزع واستأصله - نزع النفس: إمامتها.

وَقَرُّ بَزْدٍ وَقَوْدُ قِرْدٍ وَدَبْعُ جِلْدٍ بِغَيْرِ شَمْسٍ^(١)
وَأَكْلُ ضَبٍّ وَصَيْدُ دُبٍّ وَصَرْفُ حُبٍّ بِأَرْضِ خُرْسٍ^(٢)
وَنَفْعُ نَارٍ وَحَمْلُ عَارٍ وَبَيْعُ دَارٍ بِرُبْعِ قَلْسٍ
وَبَيْعُ خُفٍّ وَعِذْمُ أَلْفٍ وَضَرْبُ أَلْفٍ بِحَبْلِ لِقَلْسٍ^(٣)
أَهْوَنُ مِنْ وَفْقَةِ الْحُرِّ يَرْجُو نَوَالاً بِبَابِ نَحْسٍ^(٤)

(٧٧)

لَيْسَ يَنَالُهُ

وقال رضي الله عنه يصف قيمة العلم في حياة
الإنسان ويدعو إلى نبيله بالهمة العالية والإرادة
والتضحية :

الْعِلْمُ مَغْرَسٌ كُلُّ فَخْرٍ فَافْتَحِرْ وَاخْذَرْ يَفُوتَكَ فَخْرُ ذَاكَ الْمَغْرَسِ^(٥)
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ يَنَالُهُ مَنْ هُمُّهُ فِي مَطْعَمٍ أَوْ مَلْبَسٍ^(٦)
إِلَّا أَخُو الْعِلْمِ الَّذِي يُعْنَى بِهِ فِي حَالَتَيْهِ عَارِيّاً أَوْ مُكْتَسِي
فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْهُ حَظّاً وَافِراً وَاهْجُرْ لَهُ طَيْبَ الرُّقَادِ وَعَبْسٍ^(٧)
فَلَعَلَّ يَوْماً إِنْ حَضَرْتَ بِمَجْلِسٍ كُنْتَ الرَّئِيسَ وَفَخَّرَ ذَاكَ الْمَجْلِسِ

(١) القَرُّ: البرد - القود: المراد قود الدابة من أمام بخلاف السوق وهو من خلف .

(٢) الضَبُّ: من الزواحف شبيه بالحرذون - الأرض الخرس: الخرساء، التي لا نبات فيها ولا أثر للحياة .

(٣) القلس: الجبل الغليظ والضحخم مثل جبال السفن .

(٤) النوال: العطاء - النحس: نقيض السعد .

(٥) يفوتك: يتجاوزك - المغرس: موضع الغرس .

(٦) يقول: إن العلم نصيب طالبه الساهرين على تحصيله وليس يناله الذين كل همهم محصور في الطعام والشراب .

(٧) الرقاد: النوم - عبس: قطب وجهه .

قافية الصاد

(٧٨)

أُرشدني

قال الإمام الشافعي يذكر شكواه إلى المحدث
وكيع^(١) الذي دعاه إلى ترك المعاصي.

شَكُوتُ إِلَى وَكَيْعٍ سُوءِ حِفْظِي فَأُرشدني إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي^(٢)
وَأخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِمَعَاصِي

(٧٩)

شَهِدْتُ

وقال الإمام الشافعي يذكر بعض أركان الإسلام
ويعتدح الراشدين:

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ الْبَغْتَ حَقٌّ وَأُخْلِصُ^(٣)
وَأَنْ عُرَى الْإِيمَانِ قَوْلٌ مُبَيَّنٌ وَفِعْلٌ ذَكِيٌّ قَدْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ^(٤)
وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَبِّهِ وَكَانَ أَبُو حَفْصٍ عَلَى الْخَيْرِ يَخْرِصُ^(٥)

(١) وكيع: هو ابن الجراح الرؤاسي، المكنى بأبي سفيان. يعتبر من كبار محدثي بغداد في القرن الثاني للهجرة. كانت ولادة وكيع بالكوفة. امتنع عن تولي القضاء ورعاً، وفي الكوفة توفي سنة ١٩٧ هـ (٨١٢ م).

(٢) أُرشدني: هداني ودلني - المعاصي: الذنوب.

(٣) البعث: النشور، الحساب في اليوم الآخر،

(٤) العرى: الروابط، جمع عروة.

(٥) أبو حفص: كنية عمر بن الخطاب - يحرص على الخير: يحافظ عليه ولا يتوانى.

وَأَشْهَدُ رَبِّي أَنَّ عُثْمَانَ فَاضِلٌ وَأَنَّ عَلِيًّا فَضْلُهُ مُتَخَصِّصٌ^(١)
أُيْمَةُ قَوْمٍ يُهْتَدَى بِهُدَاهُمْ لِحَا اللَّهِ مَنْ إِيَّاهُمْ يَتَنَقَّصُ^(٢)

(١) يشيد بالراشدين: عثمان وعلي ويذكر فضلهما.

(٢) لحا الله: لعن - يتنقص فلاناً: يتقص من قدره، يذمه.



(٨٠)

حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ

وقال الإمام الشافعي^(١) يعتد بحب آل محمد:

يَا رَاكِبًا قَفَّ بِالْمُحْصَبِ مِنْ مَنَى وَاهْتَفَّ بِقَاعِدِ خَيْفِهَا وَالنَّاهِضِ^(٢)
سَحَرًا إِذَا فَاضَ الْحَجِيجُ إِلَى مَنَى فَيَضًا كُمَلَّتْ طِمِ الْفُرَاتِ الْفَائِضِ^(٣)
إِنْ كَانَ رَفُضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدْ الثَّقْلَانِ أَنِّي رَافِضِي^(٤)

(٨١)

مِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ

وقال الإمام الشافعي يحذر من تجهّم الأيّام
وإعراض الدنيا بعد الإقبال داعياً إلى الجود والعطاء .

إِذَا لَمْ تَجُودُوا وَالْأُمُورُ بِكُمْ تَمْضِي وَقَدْ مَلَكَتْ أَيْدِيكُمْ الْبَسْطُ وَالْقَبْضُ^(٥)
فَمَاذَا يُرْجَى مِنْكُمْ إِنْ عَزَلْتُمْ وَعَضَّ ثَنُوكُمْ الدُّنْيَا بِأَنْيَابِهَا عَضًا^(٦)

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (٦/٣٨٧).

(٢) المحصب: موضع في جوار مكة، على مسافة من منى وسَمِيَّ بالمحصب من الحَصْبِ وهو الرمي بالحجارة (انظر معجم البلدان لياقوت الحموي مادة المحصب أو حصب) - منى: أي وادي منى حيث ترمى الجمار وتراق دماء الأضحيات انظر معجم البلدان لياقوت) - الخيف: موضع في المحصب يعرف بخيف بني كنانة (معجم البلدان).

(٣) فاض الحجيج إلى منى: قصدوها كفيض من السيل المتلاطم - الفرات: نهر الفرات.

(٤) الثقلان: الجن والإنس.

(٥) الأمور بكم تمضي: تذهب - البسط: نقيض القبض وهو مدّ اليد.

(٦) عضتكم بأنيابها: نهشتكم.

وتَسْتَرْجِعُ الأَيَّامَ مَا وَهَبْتَكُمُ وَمِنْ عَادَةِ الأَيَّامِ تَسْتَرْجِعُ الْقَرْضَا^(١)
(٨٢)

عُدْتُ بِالْوُدِّ . . .

وقال الشافعي^(٢) يصف رعايته الصديق وحرصه
على حفظ وده وصونه بالتواصل وعدم الجفاء

لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا جَفَّاهُ أَخُوهُ أَظْهَرَ الدَّمَ أَوْ تَنَاولَ عِرْضَا^(٣)
بَلْ إِذَا صَاحِبِي بَدَا لِي جَفَّاهُ عُدْتُ بِالْوُدِّ وَالْوِصَالِ لِيَرْضَى
كُنْ كَمَا شِئْتُ لِي فَإِنِّي حَمُولُ وَأَوَّلُ مَنْ عَنِ مَسَاوِيكَ أَغْضَى^(٤)

(١) وهبتكم: أعطتكم دون مقابل - القرض: الدين.

(٢) انظر البيهقي: مناقب الشافعي (٢/ ٨٠).

(٣) العرض: الشرف والمروءة، وقوله تناول العرض شتمه وانتقص من قدره.

(٤) حمول (فعل): كثير الاحتمال - أغضى: أغض الطرف.



(٨٣)

أَوْقَعَهُ الْمَقْدُورُ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه يحذر من
هواقب الظلم ودعاء المظلوم:

وَرُبَّ ظَلُومٍ قَدْ كُفِيتَ بِحَرْبِهِ	فَأَوْقَعَهُ الْمَقْدُورُ أَيَّ وَقُوعٍ ^(١)
فَمَا كَانَ لِي الْإِسْلَامُ إِلَّا تَعْبُوداً	وَأَذْعِيَةً لَا تُتَّقَى بِدُرُوعٍ
وَحَسْبُكَ أَنْ يَنْجُو الظُّلُومُ وَخَلَفَهُ	سِيْهَامُ دُعَاءٍ مِنْ قِسِيٍّ رُكُوعٍ ^(٢)
مُرِيْشَةً بِالْهَذَبِ مِنْ كُلِّ سَاهِرٍ	مُنْهَلَةً أَطْرَافُهَا بِدُمُوعٍ ^(٣)

(٨٤)

هَذَا مُحَالٌ . . .

وقال الشافعي رضي الله عنه يتند بالنفاق والمنافقين
الذين لا يتورعون عن التظاهر بحب الله وهم غارقون
في العصيان والمعاصي:

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ	هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ ^(٤)
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لِأَطْعَمَهُ	إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ ^(٥)

(١) المقدور: القدر.

(٢) الظُّلُوم: الظالم - القسي: جمع قوس وهو بلفظ واحد للمذكر والمؤنث.

(٣) مريشة: من ريش السهم ألزق عليه الريش أو ركه - الهدب: الواحدة هدبة، جمع أهذاب وهو شعر أشفار العينين - منهلة: منسكبة ومنذرفة.

(٤) المحال: المستحيل - القياس: يريد قياس المنطق. يقول: كيف تظهر حب الله وأنت تعصي أوامره، إن هذا مناقض للمنطق والواقع.

(٥) يقول: إن من دلائل الحب الصادق إطاعة المحبوب.

فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَذِيرُكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لَشُكْرٍ ذَاكَ مُضِيعٌ^(١)

(٨٥)

إِنْ لَمْ يَضْبِرْ

ذَكَرَ يَاقُوتُ^(٢) أَنْ رَجُلًا سَأَلَ الْإِمَامَ الشَّافِعِي مَاذَا
يَصْنَعُ^(٣) إِذَا اشْتَدَّ بِهِ الْوَجْدُ، فَقَالَ لَهُ:

فَإِنْ هُوَ لَمْ يَضْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ سِوَى الْمَوْتِ أَنْفَعُ^(٤)

(٨٦)

يُدَاوِي هَوَاهُ

وَقَالَ أَيْضًا^(٥):

يُدَاوِي هَوَاهُ ثُمَّ يَكْتُمُ وَجْدَهُ وَيَصْبِرُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَيَخْضَعُ

(٨٧)

أَحَبُّ الصَّالِحِينَ

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِي:

أَحَبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ لَعَلِّي أَنْ أُنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةً^(٦)
وَأَكْرَهُ مَنْ تَجَارَتْهُ الْمَعَاصِي

(١) يقول: كيف تعصي الله وهو في كل يوم يطلع عليك بنعمة أنت تضيعها ولا تشكرها؟

(٢) ياقوت الحموي في معجم الأدياء (٦/٣٨٤).

(٣) ذكر ياقوت أن رجلاً سأل الشافعي سؤالاً مكتوباً في رقعة قال فيه:

سَلِّ الْمَفْتِي الْمَكِّي مِنْ أَلْ هَاشِمِ إِذَا اشْتَدَّ وَجْدٌ بَامْرِيءَ كَيْفَ يَصْنَعُ؟

فَقَالَ الشَّافِعِي (البيت أعلاه).

(٤) يقول الشافعي: في الإجابة عما تقدم: إذا أنت لم تصبر على ما نابك أو أصابك فليس أنفع لك من الموت.

(٥) سئل الشافعي أيضاً، سأله صاحب الرقعة قائلاً:

فَكَيْفَ يُدَاوِي وَالْهَوَى قَاتِلُ الْفَتَى وَفِي كُلِّ يَوْمٍ غَضَّةٌ يَتَجَنَّعُ

فَأَجَابَهُ (البيت أعلاه).

(٦) أراد بالصالحين الاتقياء الورعين، وتقوى الله هي رأس سبل إصلاح النفس.

تَعَمَّدَنِي بِنُضْحِكَ فِي انْفِرَادِي وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ^(١)
 إِنَّ النَّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ مِنَ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ^(٢)
 وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي فَلَا تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُغَطِّ طَاعَهُ^(٣)

(٨٨)

كَمَا الْعَلِيلُ

وقال رضي الله عنه يحدد دور الورع في صرف
 صاحبه عن الاشتغال بعيوب الناس:

الْمَرْءُ إِنْ كَانَ عَاقِلًا وَرِعًا أَشْغَلَهُ عَنْ عُيُوبِ غَيْرِهِ وَرَعُهُ^(٤)
 كَمَا الْعَلِيلُ السَّقِيمُ أَشْغَلَهُ عَنْ وَجَعِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَجَعُهُ^(٥)

(٨٩)

كَمَا طَارَ وَقَعَ

وقال الشافعي رضي الله عنه ينهى عن الطمع
 وعواقبه:

حَسْبِيَ بِعِلْمِي إِنْ نَفَعَ مَا الذُّلُّ إِلَّا فِي الطَّمَعِ
 مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ رَجَحَ مَا طَارَ طَيْرٌ وَازْتَفَعَ^(٦)
 إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعَ

(١) تعمدني: من تعمد الأمر: قصده - جنبني النصيحة من الجماعة: أي لتكون نصيحتك إياي وأنا منفرد
 ولست مع الجماعة.

(٢) التوبيخ: التأنيب والتبكي.

(٣) خالفتني: عصيتني ولم تطعني - لا تجزع: لا تخف.

(٤) الورع: التقى والورع (بكسر الراء): التقى الذي يخشى الوقوع في الإثم ومخالفة أوامر الله.

(٥) العليل والسقيم: المريض - أشغله: صرفه.

(٦) رجع: أي رجع إلى جادة الصواب واستقام مرتدعاً عن الغي والضلال.

(٩٠)

لا تَطْمَع

وقال الشافعي^(١) داعياً إلى القناعة ناهياً عن
الطمع:

العَبْدُ حُرٌّ إِنْ قَنِعَ وَالْحُرُّ عَبْدٌ إِنْ طَمِعَ
فَأَقْنَعْ وَلَا تَطْمَعْ فَلَا شَيْءٌ يُشِينُ سِوَى الطَّمَعِ^(٢)

(١) انظر مقدمة كتابه الأم.

(٢) يشين: يعيب ويسيء.



(٩١)

ذَنَابُ خِرَافٍ

جاء في «آداب الشافعي» حدث عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن محمد بن يعقوب عن أبي حاتم عن حملة أنه سمع الشافعي يقول:

وَدَعَ الَّذِينَ إِذَا أَتَوْكَ تَنَسَّكُوا وَإِذَا خَلَوْا فَهُمْ ذَنَابُ خِرَافٍ

(٩٢)

كَيْفَ الْوُصُولُ

وقال الإمام الشافعي يصف هول الطريق قبل الوصول إلى سعاد ويغلب على شعره هنا الإيماء والرمز:

كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى سَعَادَ وَدُونَهَا قُلُلُ الْجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُتُوفٌ^(١)
وَالرَّجُلُ خَافِيَةٌ وَلَا لِي مَزَكَبٌ وَالْكَفُّ صِفْرٌ وَالطَّرِيقُ مَخُوفٌ^(٢)

(٩٣)

وَهُوَ ضَعِيفٌ

وقال الإمام الشافعي^(٣) رضي الله عنه:

أَكَلَ الْعُقَابُ بِقُوَّةٍ جِيفَ الْفَلَا وَجَنَى الدُّبَابُ الشُّهْدَ وَهُوَ ضَعِيفٌ^(٤)

(١) قُلُل: جمع قلة وهي قمة الجبل وأعلاه، والقلة أعلى كل شيء - الحتوف: جمع حتف وهو الموت. يقال مات حتف أنفه أي على فراشه لا قتلاً ولا ضرباً.

(٢) الكف صفر وصفر: أي خالية، يقال هو صفر اليد أي لا يملك شيئاً ويبت صفر من المتاع أي خال، لا متاع فيه - الطريق مخوف: باعث على الخوف.

(٣) انظر ابن الوردي: تمة المختصر في أخبار البشر (١/٣٣٣).

(٤) العقاب: طائر من الجوارح - الجيف: جمع جيفة وهي جثة الميت المتنتنة.

(٩٤)

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا

وقال الإمام الشافعي يصف جوهر الصداقة
ويكشف أهواء الذين يتصنعون الإخاء أو يتظاهرون
بالمودة:

إِذَا الْمَرْءُ لَا يَزْعَاكَ إِلَّا تَكَلُّفًا قَدَعَهُ وَلَا تُكْثِرُ عَلَيْهِ التَّاسُفَا^(١)
فَفِي النَّاسِ أَبْدَالٌ وَفِي التُّرُكِ رَاحَةً وَفِي الْقَلْبِ صَبْرٌ لِلْحَبِيبِ وَلَوْ جَفَا^(٢)
فَمَا كُلُّ مَنْ تَهَوَّاهُ يَهْوَاكَ قَلْبُهُ وَلَا كُلُّ مَنْ صَافَيْتَهُ لَكَ قَدْ صَفَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ صَفْوُ الْوُدَادِ طَبِيعَةً فَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ يَجِيءُ تَكَلُّفَا^(٣)
وَلَا خَيْرَ فِي خَلٍّ يَخُونُ خَلِيلَهُ وَيَلْقَاهُ مِنْ بَعْدِ الْمَوَدَّةِ بِالْجَفَا^(٤)
وَيُنْكِرُ عَيْشًا قَدْ تَقَادَمَ عَنْهُ وَيُظْهِرُ سِرًّا كَانَ بِالْأَمْسِ قَدْ خَفَا^(٥)
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَا صَدِيقٌ صَدُوقٌ صَادِقُ الْوَعْدِ مُنْصِفَا^(٦)

(٩٥)

رَحْمَةُ رَبَّنَا عَلَيْهِ

وقال الإمام الشافعي يذكر مناقب الإمام أبي
حنيفة^(٧) مترحماً عليه:

لَقَدْ زَانَ الْبِلَادَ وَمَنْ عَلَيْهَا إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو حَنِيفَةَ
بِأَحْكَامٍ وَأَثَارٍ وَفَقْهِ كَأَيَاتِ الزُّبُورِ عَلَى الصَّحِيفَةِ^(٨)

(١) التكلّف: من تكلف الأمر تجسّمه، وتحمله على مشقة أو على خلاف عادته - التأسف: التحسر والأسف.

(٢) جفا الحبيب يجفو: أعرض ونقيض جفاه آنسه.

(٣) الوداد: الحب والمودة.

(٤) الخلّ والخليل: الصاحب.

(٥) تقادم عهده: إشارة إلى أنه وطيد لقدمه.

(٦) سلام على الدنيا إذا...: يندد بالدنيا ويزدريها إذا هي خلت من الصديق الصادق والمنصف.

(٧) أبو حنيفة: هو صاحب المذهب المعروف باسمه، أي المذهب الحنفي [٨٠ - ١٥٠ هـ] = [٦٩٩ - ٧٦٧ م].

(٨) الزبور: الكتاب وغلب اسم الزبور على مزامير داود النبي.

فَمَا بِالْمَشْرِقَيْنِ لَهُ تَظْيِيرٌ وَلَا بِالْمَغْرِبَيْنِ وَلَا بِكُوفِهِ ^(١)
فَرَحْمَةً رَبَّنَا أَبْدَأَ عَلَيْهِ مَدَى الْأَيَّامِ مَا قُرِئَتْ صَحِيفُهُ

(٩٦)

الضِدَّانِ الْمُفْتَرِقَانِ

وقال رضي الله عنه :

فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنْ مَجْدُوداً حَوَى عُوداً فَأَثْمَرَ فِي يَدَيْهِ فَصَدَّقِ ^(٢)
وَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنْ مَخْرُوماً أَتَى مَاءً لِيَشْرَبَهُ فَعَاظَ فَحَقَّقِ ^(٣)
لَوْ كَانَ بِالْحَجَلِ الْغِنَى لَوَجَدْتَنِي بِسُجُومِ أَقْطَارِ السَّمَاءِ تَعْلَقِي
لَكِنَّ مَنْ رَزَقَ الْحِجَا حُرِمَ الْغِنَى ضِدَّانِ مُفْتَرِقَانِ أَيْ تَفَرَّقِ ^(٤)
وَأَحَقُّ خَلْقِ اللَّهِ بِالْهَمِّ أَمْرُو ذُو هِمَّةٍ يُبْنَى بِرِزْقٍ ضَيْقِ ^(٥)
وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَحُكْمِهِ بُؤْسُ اللَّيْبِ وَطِيبُ عَيْشِ الْأَحْمَقِ ^(٦)
إِنَّ الَّذِي رَزَقَ الْيَسَارَ فَلَمْ يَنْلِ أَجْراً وَلَا حَمَداً لَغَيْرِ مُوَفَّقِ ^(٧)
وَالْجَدُّ يُدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعِ وَالْجَدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقِ ^(٨)

(٩٧)

أَلَذُّ لِي . . .

وقال الإمام الشافعي يصف استمتاعه ولذته في

مواكبة العلم وتنقيح العلوم :

سَهْرِي لِتَنْقِيحِ الْعُلُومِ أَلَذُّ لِي مِنْ وَضَلِ عَائِيَّةٍ وَطِيبِ عِنَاقِ ^(٩)

(١) النظير: المنيل - الكوفة: من مدن العراق على ساعد الفرات لجهة الغرب. تأسست سنة (٦٣٨ م)

أسسها سعد بن أبي وقاص بعد معركة القادسية. وتعتبر من مراكز الثقافة العربية.

(٢) المجدود: المحظوظ - العود: الفصن.

(٣) غاض الماء: غار وذهب في الأرض، وغاض أيضاً: قل.

(٤) الحجاء: العقل والفتنة.

(٥) أحق: أجدر - يبلى: يصاب - الرزق الضيق: القليل.

(٦) القضاء: حكم القدر - اللبيب: العاقل - الأحق: الجاهل والغبى.

(٧) اليسار: الغنى.

(٨) الجَدُّ (بفتح الجيم): الحظّ - يدني: يقرب - الشاسع: البعيد.

(٩) تنقيح العلوم: تهذيبها - الغانية: الحسناء التي أغناها حسناتها عن الزينة.

وَصَرِيرُ أَفْلَامِي عَلَى صَفَحَاتِهَا أَخْلَى مِنَ الدُّوْكَاءِ وَالْعُشَاقِ^(١)
وَأَلَدُ مِنْ نَفْرِ الْفَتَاةِ لِدُفِّهَا نَفْرِي لِأَلْقِي الرَّمْلَ عَنْ أَوْزَاقِي^(٢)
وَتَمَائِلِي طَرِباً لِحَلِّ عَوِيصَةٍ فِي الدَّرْسِ أَشْهَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِ^(٣)
وَأَبَيْتُ سَهْرَانَ الدُّجَى وَتَبِيئَتُهُ نَوْماً وَتَبَغْيِي بَغْدَ ذَاكَ لِحَاقِي

(٩٨)

لَمَّا تَغَرَّبَ . . .

يدعو الإمام الشافعي في هذه الأبيات^(٤) إلى
الارتحال عن موطن الضيم والذلّ مبيناً كيف أن
الجوهر رخيص في أرضه لكنه يغلو إذا تغرّب:

إِزْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تَضَامُ بِهَا وَلَا تَكُنْ مِنْ فِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقِ^(٥)
فَالْعَنْبَرُ الْخَامُ رَوْتُ فِي مَوَاطِنِهِ وَفِي التَّغَرُّبِ مَحْمُولٌ عَلَى الْعُنُقِ^(٦)
وَالْكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَخْجَارِ تَنْظُرُهُ فِي أَرْضِهِ وَهُوَ مَرْمِيٌّ عَلَى الطُّرُقِ
لَمَّا تَغَرَّبَ حَازَ الْفَضْلَ أَجْمَعَهُ فَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ^(٧)

(٩٩)

تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ

وقال الشافعي رضي الله عنه يصف توكّله على الله
في الرزق غير شاك بفضل الله مقسم الأرزاق للعباد.

تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللَّهِ خَالِقِي وَأَيَّقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ رَازِقِي

(١) صرير الأفلام: صوتها على القراطس - الدوكةاء: حجر أو أداة لسحق الطيب - العشاق: المغرمون.

(٢) النفري: صوت يسمع من قرع الإبهام على الوسطى - الرقي: من آلات الطرب.

(٣) العويصة: المسألة الصعبة من مسائل العلم أو الفقه والعويص أيضاً من الأقوال ما صعب إدراك معناه.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان (٣/٣٠٧).

(٥) تضام بها: تظلم بها وتعامل بإذلال وانتقاص - الحرق: جمع حرقه وهي اللوعة والحسرة.

(٦) العنبر: من الطيوب وفي كتاب الحيوان للجاحظ أن العنبر روث سمك وهو ما أشار إليه الشافعي ومن قائل بأن العنبر مادة دهنية تقذفها عيون قائمة في قاع البحر وإذا طافت جمدت وألقتها الأمواج على الشاطئ.

(٧) تغرّب: ترك موطنه - حاز الفضل: ناله - الحدق: العين أو وسطها.

وَمَا يَكُ مِنْ رِزْقِي فَلَيْسَ يَفُوتُنِي وَلَوْ كَانَ فِي قَاعِ الْبَحَارِ الْعَوَامِقُ^(١)
 سَيَأْتِي بِهِ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي اللِّسَانُ بِنَاطِقِ^(٢)
 فَفِي أَيِّ شَيْءٍ تَذْهَبُ النَّفْسُ حَسْرَةً وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَلَائِقِ^(٣)

(١٠٠)

تَبْقَى بِلَا صَدِيقٍ

ويدعو الشافعي رضي الله عنه إلى تقبل عشرات
 الناس حتى لا يبقى أحدا بلا صديق :

وَلَا تَأْخُذْ بِعَنْزَةِ كُلِّ قَوْمٍ وَلَكِنْ قُلْ هَلُمَّ إِلَى الطَّرِيقِ^(٤)
 فَإِنْ تَأْخُذْ بِعَنْزَتِهِمْ يَقِلُّوا وَتَبْقَى فِي الزَّمَانِ بِلَا صَدِيقٍ

(١٠١)

عِلْمِي مَعِي

يذهب الإمام الشافعي إلى أَنَّ العلم هو الذي تعيه
 الصدور، لا الدفاتر أو الكتب في الخزائن والصناديق :

عِلْمِي مَعِي حَيْثُمَا يَمُمْتُ يَنْفَعُنِي قَلْبِي وَعَاءٌ لَهُ لَا بُطْنُ صُنْدُوقِ^(٥)
 إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِي مَعِي أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ^(٦)

(١) يفوتني: يذهب عني بحيث لا أدركه، يفوتني أيضاً: يَخْاوِزُنِي - البحار العوامق: العميقة والعوامق (فواعل): جمع العميق، والبحر العميق مثل البئر العميقة: أي الذي بعد قعره.

(٢) يقول: إن رزقه سيأتيه بفضل الله العظيم دون سؤال مني.

(٣) يقول: لا داعي لتحسر النفس ما دام الرحمن قد قسم أرزاق العباد.

(٤) هلم: كلمة بمعنى الدعاء إلى الشيء مثل تعال وتكون لازمة، ويمكن تعديتها مثل قولهم: هلم أنصاركم أي ادعوا هؤلاء الأنصار. وهلم اسم فعل يستعمل بلفظ واحد للجميع ويمكن تصريفه بجعله فعلاً مثل: هلم وهلموا وهلموا - وقوله: هلم إلى الطريق دعوة إلى طريق العمل.

(٥) يمت: قصدت، ذهبت - يقول: أن قلبه وعاء علمه فهو يخزن فيه علومه فالعلم الحقيقي في نظر الشافعي ما وعاه قلب الإنسان أي ذهنه وملكاته وليس ما خزنه الدفاتر أو ما أودع في الصناديق أو الخزائن من كتب.

(٦) يقول: ما دام العلم مختزناً في قلبه أو عقله فهو حاضر معه أينما كان. والشافعي يسخر هكذا من الذين إذا سألهم في مسألة أو قضية طلبوا أن تستمهلهم للرجوع إليها في الكتب والدفاتر.

(١٠٢)

رَزِقْتَ عَلَى جَهْلٍ

وقال الإمام الشافعي :

لَوْ كُنْتُ بِالْعَقْلِ تُعْطَى مَا تُرِيدُ إِذَنْ لَمَا ظَفِرْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَرْزُوقٍ^(١)
رَزِقْتَ مَالاً عَلَى جَهْلٍ فَعِشْتَ بِهِ فَلَسْتَ أَوَّلَ مَجْنُونٍ وَمَرْزُوقٍ

(١٠٣)

كَجَنَاحِ طَيْرٍ خَافِقٍ

وقال أيضاً يصف مشاعر الغريب وحنينه للأهل
والوطن .

إِنَّ الْغَرِيبَ لَهُ مَخَافَةٌ سَارِقٍ وَخُضُوعٌ مَذْيُونٍ وَذِلَّةٌ مُوْتَقٍ^(٢)
فَإِذَا تَذَكَّرَ أَهْلَهُ وَبِلَادَهُ فَقُوَادُهُ كَجَنَاحِ طَيْرٍ خَافِقٍ

(١٠٤)

أَضَيِّقُ

وقال الإمام الشافعي محدراً من عواقب إنشاء
السِّرِّ :

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلسَانِهِ وَلَا مَ عَ لَيْهِ غَيْرُهُ فَهُوَ أَخْمَقُ^(٣)
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ^(٤)

(١) يقول : إن الإنسان لا ينال الرزق أو العطاء بالعقل ولكن المال يرزقه الإنسان ولو كان جاهلاً ، لأنه قسمة القدر وإرادة الخالق .

(٢) إن شعور الغريب هو شعور الخوف كأنه سارق أو مديون أو ذليل .

(٣) أفشى السِّرِّ : باح به ، أعلنه ولم يكتمه - الأحقق : الغبي الجاهل .

(٤) يستكمل معنى البيت الأول مؤكداً أنَّ الذي يفشي سركَ معذور لأنك أنت صاحب السِّرِّ لم تقو على الاحتفاظ به ، فكيف لسواك أن يفعل .

(١٠٥)

كُنْ جَحِيماً

وقال الشافعي رضي الله عنه منذراً بطبائع المكر والملق في الناس .

لَمْ يَنْبَقْ فِي النَّاسِ إِلَّا الْمَكْرُ وَالْمَلَقُ شَوْكُ، إِذَا لَمْ سُوَا، زَهْرٌ إِذَا رَمَقُوا^(١)
فَإِنْ دَعَتْكَ ضَرُورَاتٌ لِعَشْرَتِهِمْ فَكُنْ جَحِيماً لَعَلَّ الشَّوْكَ يَحْتَرِقُ^(٢)

(١٠٦)

مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ

وقال الإمام الشافعي :

رَامَ نَفْعاً فَضَرَّ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَمِنْ الْبِرِّ مَا يَكُونُ عُقُوقاً^(٣)

(١) المكر: الخداع - الملق: التودد والتذلل وإبداء الاكرام قولاً لا فعلاً فالملق وذ باللسان لا بالقلب .

(٢) يدعو الشافعي من يضطر لمعاشرة المتملقين أن يكون كالجحيم كي يحرق شوك هؤلاء الخبيثاء .

(٣) رام النفع: رغب فيه، أراه - العقوق: الجحود والعصيان - يقول: رب رجل أراد النفع فسبب الإضرار شأن ذلك شأن البر أي الإحسان الذي يكون بالعصيان وعدم الطاعة .

قافية الكاف

(١٠٧)

فَسَادٌ كَبِيرٌ

ومما قاله ^(١) الإمام الشافعي رضي الله عنه في تهتك
العالم وفساده :

فَسَادٌ كَبِيرٌ عَالَمٌ مُتَهَتِّكٌ وَأَكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ ^(٢)
هَما فِتْنَةٌ فِي الْعَالَمِينَ عَظِيمَةٌ لَمَنْ بِهِمَا فِي دِينِهِ يَتَمَسَّكُ ^(٣)

(١٠٨)

القَنَاعَةُ رَأْسُ الْغِنَى

وقال الإمام الشافعي في القناعة :

رَأَيْتُ الْقَنَاعَةَ رَأْسَ الْغِنَى فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَا مُمْتَسِكٌ ^(٤)
لَا ذَا يَرَانِي عَلَى بَابِهِ وَلَا ذَا يَرَانِي بِهِ مُنْهَمِكٌ ^(٥)
فَصِرْتُ غَنِيًّا بِلَا دِرْهَمٍ أُمِرُّ عَلَى النَّاسِ شِبْنَةَ الْمَلِكِ

(١) راجع المجموعة المباركة للقلنقولي ص ١٧٦.

(٢) المتهتك : الذي يهتك السر عن عيوبه من الهتك وهو تقطيع السر وتمزيقه وإزالته من موضعه ومن معاني الهتك الفضيحة.

(٣) هما : أي العالم المتهتك والمتنكس الجاهل - يعتبر الشافعي كلاً من التهتك والجهل من أسباب الفتنة.

(٤) متمسك : أي متعلق بشدة، وتمسك به أيضاً : اعتصم.

(٥) منهك : اسم فاعل من انهك في العمل أي جد فيه ودأب عليه وانشغل ..



(١٠٩)

لا يُذَرِّكُ الْحِكْمَةَ . . .

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه في موضوع
الحكمة وكيفية إدراكها:

يَكْدُخُ فِي مَضْلَحَةِ الْأَهْلِ	لا يُذَرِّكُ الْحِكْمَةَ مَنْ عُمُرُهُ
خَالٍ مِنَ الْأَفْكَارِ وَالشُّغْلِ	وَلَا يَنَالُ الْعِلْمَ إِلَّا فَتًى
سَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ بِالْفَضْلِ	لَوْ أَنَّ لُفْمَانَ الْحَكِيمِ الَّذِي
فَرَّقَ بَيْنَ الثُّبَنِ وَالْبَقْلِ	بُلِي بِفَقْرِ وَعِيَالٍ لَمَا

(١١٠)

مَنْ طَلَبَ الْعُلَى

وقال الشافعي^(١) مشدداً على الكذب في سبيل
تحصيل العلم:

وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي ^(٢)	بَقْدَرِ الْكَذِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي
أَضَاعَ الْعُمُرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ ^(٣)	وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ
يَعُوضُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي ^(٤)	تَرَوْهُ الْعِزُّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا

(١) انظر المجموعة المباركة الأنفة الذكر . . .

(٢) الكذب: التعب، وبذل الجهد.

(٣) يقول من طلب العلا بغير تعب أو عمل أضاع عمله بلا جدوى وكأنه يطلب شيئاً مستحيلاً.

(٤) يتابع المعنى السابق ويؤكد أنَّ العز لا ينال إلا بالسعي وبذل الجهد فهو كاللآلي تلزم طالبها بأن يغوص في لجج البحار.

(١١١) حَتَّى أَوْسَدَ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

إِذَا نَحْنُ فَضَّلْنَا عَلَيَّا فَإِنَّا رَوَافِضُ بِالتَّفْضِيلِ عِنْدَ ذَوِي الْجَهْلِ^(١)
وَفَضْلُ أَبِي بَكْرٍ إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ رُمِيَتْ بِنَضْبٍ عِنْدَ ذِكْرِي لِلْفَضْلِ^(٢)
فَلَا زِلْتُ ذَا رَفْضٍ وَنَضْبٍ كِلَاهُمَا بِحُبِّيهِمَا حَتَّى أَوْسَدَ فِي الرَّمْلِ^(٣)

(١١٢)

لَمْ يَغْمَلْ

وقال الشافعي رضي الله عنه مبيّناً أثر الحظ في
رفعة الإنسان .

المرءُ يَحْطَى ثُمَّ يَغْلُو ذِكْرُهُ حَتَّى يُزَيِّنَ بِالَّذِي لَمْ يَفْعَلْ^(٤)
وَتَرَى الْعَبِيَّ إِذَا تَكَامَلَ مَالُهُ يُخْشَى وَيُنْحَلُ كُلُّ مَا لَمْ يَغْمَلْ^(٥)

(١١٣)

أَدَبَنِي الدَّهْرُ

وقال^(٦) الإمام الشافعي رضي الله عنه مبيّناً أثر
الدهر في تأديب الإنسان وزيادة رصيده من العلم .

كَلَّمَا أَدَبَنِي الدَّهْرُ رُ أَرَانِي نَفْصَ عَقْلِي
وَإِذَا مَا أَزْدَدْتُ عِلْمًا زَادَانِي عِلْمًا بِجَهْلِي

(١) الروافض: أصلاً هم الذين نادوا بآراء اعتبرها الإمام عليّ بدعة وعاقب أصحابها والفرق الرافضة هي فرق الغلاة في الإسلام .

(٢) رميت بنصب: إشارة إلى جماعة الناصبة الذين كانوا ينصبون للإمام علي .

(٣) أوسد في الرمل: أي حتى أموت، وتوسد في الرمل أي توى في اللحد بعد الموت .

(٤) يحظى: ينال الحظوة وهي المرتبة العالية .

(٥) يشير إلى تأثير الغنى على صاحبه وكيف يرفع من مكانته حتى ينسب إليه ما ليس فاعلاً بالحقيقة .

(٦) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٣١١) .

(١١٤)

وَكَذًا . . .

وقال الإمام الشافعي مؤكداً أن الفقيه الفقيه إنما هو
بفعله لا بنطقه ومقاله :

إِنَّ الْفَقِيهَ هُوَ الْفَقِيهَ بِفَعْلِهِ لَيْسَ الْفَقِيهَ بِنُطْقِهِ وَمَقَالِهِ
وَكَذًا الرَّئِيسُ هُوَ الرَّئِيسُ بِخُلُقِهِ لَيْسَ الرَّئِيسُ بِقَوْمِهِ وَرِجَالِهِ
وَكَذًا الْغَنِيُّ هُوَ الْغَنِيُّ بِحَالِهِ لَيْسَ الْغَنِيُّ بِمُلْكِهِ وَبِمَالِهِ

(١١٥)

في التائبَاتِ قَلِيلُ

وقال الإمام الشافعي يدعو إلى صون النفس
واكتساب ثقة الناس بالعمل الصالح والتمسك
بالفرائض :

صُنِ النَّفْسَ وَاخْمَلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا تَعِشْ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فِيكَ جَمِيلُ^(١)
وَلَا تُؤْلِسَنَّ النَّاسَ إِلَّا تَجْمُلًا نَبَا بِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلُ^(٢)
وَأِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاضْبِرْ إِلَى غَدٍ عَسَى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ^(٣)
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مُتَلَوِّنٍ إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ، مَالٌ حَيْثُ تَمِيلُ^(٤)
وَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ وَلَكِنَّهُمْ فِي السَّائِبَاتِ قَلِيلُ^(٥)

(١) صن النفس : احفظها - احمليها : الأمر من ، حملي على الأمر : اجتهده وكلفه القيام به - يزيناها : يجميها -
يدعو الإمام الشافعي إلى صيانة النفس من كل رذيلة وحمليها على القيام بما يجعلها جميلة في أعين
الناس ويكفل له بذلك الطمأنينة والثناء .

(٢) التجميل : الصبر والجلد - نبا به الدهر : جافاه وتباعد عنه ، يقال : نبا به الفراش : لم يطمئن في نومه -
جفاك الخليل : صدّ عنك الصاحب .

(٣) نكبات الدهر : مصائبه .

(٤) المتلون : المتقلب - يقول : لا خير في ود امرئ يتلون في حبه أي يخادع ولا يكون صادقاً بل يتقلب
في أهوائه كالرياح ويميل كما تميل .

(٥) يقول : الإخوان كثرة في التعداد وفي وقت الطمأنينة وإقبال الأيام لكنهم عند حلول المصائب يصبحون
قلّة أي لا يثبت للمرء من خلّاته في الظروف العصيبة إلا القلّة .

(١١٦) إِنَّ الْوُقُوفَ ذُلٌّ

وقال الشافعي رضي الله عنه :

إِنَّ الْمُلُوكَ بَلَاءٌ حَيْثُمَا حَلُّوا فَلَا يَكُنْ لَكَ فِي أَبْوَابِهِمْ ظِلٌّ^(١)
مَاذَا تُؤْمَلُ مِنْ قَوْمٍ إِذَا غَضِبُوا جَاؤُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضِيَتْهُمْ مَلُّوا^(٢)
فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ عَنْ أَبْوَابِهِمْ كَرَمًا إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ ذُلٌّ^(٣)

(١١٧)

تَعَلَّمْ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه يدعو إلى طلب العلم مبيّناً فرق ما بين العالم والجاهل :

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُوَلَّدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
وَأَنْ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا التَّقَتْ عَلَيْهِ الْجَحَافِلُ^(٤)
وَأَنْ صَغِيرَ الْقَوْمِ إِنْ كَانَ عَالِمًا كَبِيرٌ إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ الْمَحَافِلُ^(٥)

(١١٨)

أَخَذْتُوا بِدَعَا

جاء في «البداية والنهاية»^(٦) : قال الربيع : سمعت

الشافعي يقول : أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر

ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ ، وقال وأنشد في الشافعي :

لَمْ يَفْتِ النَّاسُ حَتَّى أَخَذْتُوا بِدَعَا فِي الدِّينِ بِالرَّأْيِ لَمْ يُبْعَثْ بِهَا الرُّسُلُ^(٧)

(١) البلاء : المصيبة - حيثما حلّوا : حيثما نزلوا - فلا يكن لك في أبوابهم ظلّ : أي لا تقف على أبوابهم .

(٢) جاروا عليك : ظلّموك - ملّوا : سئموا - يصف أخلاق الملوك وينعتهم بالظلم والملل ويحذر من صحبتهم .

(٣) يدعو الشافعي الإنسان إلى الاستغناء عن سؤال الملوك ، لأن طرق أبوابهم مذلة .

(٤) الجحافل : جمع الجحفل وهو الجيش الكبير .

(٥) المحافل : جمع محفل وهو المجلس ومجتمع الناس - يعظم الإمام دور العلم في عظمة الإنسان ، لأن العلم يرفع الصغير في المحافل والجهل يضع من مكانة الكبير في قومه إذا أحاطت به الجحافل .

(٦) البداية والنهاية لابن كثير (٢٥٤/١٠) ، والربيع المذكور هنا هو الربيع بن سليمان أحد الرواة الذين أخذوا عن الشافعي ورووا كتبه .

(٧) البدع : جمع بدعة وهي المحدث الجديد على غير مثال سابق والبدعة كل ما استحدث مما هو مخالف للإيمان .

حَتَّى اسْتَخَفَّ بِحَقِّ اللَّهِ أَكْثَرُهُمْ وَفِي الَّذِي حَمَلُوا مِنْ حَقِّهِ شُغْلُ
(١١٩)

إِذَا شِئْتُ

جاء في معجم الأدباء^(١) أنه جرت بين الشافعي
وبعض أصحابه مجانة فقال الإمام:

وَأَنْزَلَنِي طَوْلُ النَّوَى دَارَ غَرَبَةٍ إِذَا شِئْتُ لَأَقِيْتُ امْرَأً لَا أَشَاكِلُهُ^(٢)
أَحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ^(٣)
(١٢٠)

عَزَّ مَنَالُهَا

وقال الإمام يتنّذ بالحاسد ويصف شدة حقه:

وَدَارَيْتُ كُلَّ النَّاسِ لَكِنَّ حَاسِدِي مُدَارَاتُهُ عَزَّتْ وَعَزَّ مَنَالُهَا^(٤)
وَكَيْفَ يُدَارِي الْمَرْءَ حَاسِدَ نِعْمَةٍ إِذَا كَانَ لَا يُزْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا^(٥)
(١٢١)

أَرَاهُ طَعَاماً وَبَيْلاً

روي أن الخليفة الرشيد أمر ببدة فيها عشرة آلاف
درهم للشافعي فأخذها الإمام ثم أعطاها للحاجب
وكتب على بدرة المال قوله^(٦):

ذُلُّ الْحَيَاةِ وَهَوْلُ الْمَمَاتِ كَلَّا أَرَاهُ طَعَاماً وَبَيْلاً^(٧)

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٦/٣٨٦).

(٢) لا أشاكلة: لا أشابهه ولا أمثله.

(٣) السجينة: الطبيعة والخلق.

(٤) المداراة: المجاملة - عزّ منالها: صعب نيلها.

(٥) زوالها: ذهابها وضياعها.

(٦) انظر: خلاصة الذهب المسبوك للأربلي (ص ٢١٢).

(٧) الطعام الوبيل: الذي يخاف وباله أي سوء عاقبته.

فإن لم يكن غير إحداهما فسير إلى الموت سيراً جميلاً^(١)
(١٢٢)

لَعَلَّه

قيل^(٢): استعار الإمام الشافعي من محمد بن
الحسن الكوفي الفقيه تلميذ أبي حنيفة شيئاً من كتبه
فلم يسعفه به فكتب إليه الشافعي رضي الله عنه:

قُلْ لِلَّذِي لَمْ تَرَ عَيْنًا	مَنْ رَأَى مَثْلَهُ
وَمَنْ كَانَ مَنْ رَأَى	قَدْ رَأَى مَنْ قَبْلَهُ
لَأَنَّ مَا يَجْنِيهِ	فَاقَ الْكَمَالَ كُله ^(٣)
الْعِلْمُ يَنْهِي أَهْلَهُ	أَنْ يَمْنَعُوهُ أَهْلَهُ
لَعَلَّه يَنْبُذُهُ	لَأَهْلِهِ لَعْلَهُ

(١٢٣)

حُبُّكُمْ فَرَضٌ

وقال الإمام الشافعي يعبر عن حب آل رسول الله:

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ	فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَتُكْمُ	مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ

(١) يقول إذا لم يكن بدّ من الذل أو الموت فهول الموت أقلّ وطأة على النفس.

(٢) انظر مروج الذهب للمسمودي - (١٢٢/٤).

(٣) فاق الكمال كله: علاه وتجاوزته بالعقل.



(١٢٤)

مُهْلِكَةُ الْأَنَامِ

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه في الثلاثة المهلكة:

ثَلَاثٌ هُنَّ مُهْلِكَةُ الْأَنَامِ وَدَاعِيَةُ الصَّحِيحِ إِلَى السُّقَامِ^(١)
دَوَامٌ مُدَامَةٌ وَدَوَامٌ وَطِئٌ وَإِذْخَالُ الطَّعَامِ عَلَى الطَّعَامِ^(٢)

(١٢٥)

عُفُّوا

وقال الشافعي أيضاً:

عُفُّوا تَعِفُّ نِسَاؤُكُمْ فِي الْمَحْرَمِ وَتَجَنَّبُوا مَا لَا يَلِيقُ بِمُسْلِمٍ
إِنَّ الزَّنا دَيْنٌ فَإِنْ أَقْرَضْتَهُ كَانَ الزَّنا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَأَغْلَمِ^(٣)

(١٢٦)

فَافْهَمِ

وقال رضي الله عنه:

يَا هَاتِكَا حُرْمَ الرِّجَالِ وَقَاطِعَا سُبُلَ الْمَوَدَّةِ عِشْتَ غَيْرَ مُكْرَمِ^(٤)

(١) الأنام: الناس - الداعية: السبب والأمر الذي يدعو - يقول المهلكات ثلاث من شأنها أن تبدل الصحيح إلى البخل.

(٢) هذه المهلكات هي: الإدمان على المدام أي الخمرة، وكثرة الوطء أي المجامعة والنهم الذي يحمل المرء على التخمّة وإذخال الطعام على الطعام.

(٣) الزنى: الفجور مصدر زنى يزني زناه: فجر فهو زان وهي زانية - يقول الإمام الشافعي: إن الزنى أي الفجور دين فمن أقرضه صار بعض أهل البيت أي سمة من سماته.

(٤) الهاتك الحرم: الذي يمزق الستر عنها - سبل المودة: طرقها ودروبها ووسائلها.

لَوْ كُنْتُ حُرّاً مِنْ سُلَالَةٍ مَاجِدٍ مَا كُنْتُ هَتَاكاً لِحُزْمَةِ مُسْلِمٍ^(١)
مَنْ يَزِنُ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ إِنْ كُنْتُ يَا هَذَا لَبَيْباً فَأَفْهَمُ^(٢)

(١٢٧)

كفاك تعليمي

قال الأصبهاني في آداب الشافعي^(٣): حدثنا محمد
بن إبراهيم حدثنا الحسين بن محمد بن غوث
الدمشقي قال: سمعت المزني يقول: كَلِمٌ لِلشَّافِعِيِّ
فِي بَعْضِ مَا يَرَادُ مِنْهُ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَلَقَدْ بَلَوْتُكَ وَابْتَلَيْتَ خَلِيقَتِي وَلَقَدْ كَفَاكَ مُعَلِّمِي تَغْلِيمِي^(٤)

(١٢٨)

صاحبه كريم

وقال الشافعي يصف فضل العالم ويبين أهمية
العلم في رفع مكانة الإنسان:

رَأَيْتُ الْعِلْمَ صَاحِبُهُ كَرِيمٌ وَلَوْ وَلَدْتُهُ آبَاءَ لِيَّامٍ
وَلَيْسَ يَزَالُ يَرْفَعُهُ إِلَى أَنْ يُعْظَمُ أَمْرُهُ الْقَوْمُ الْكِرَامُ
وَيَتَّبِعُوهُ فِي كُلِّ حَالٍ كِرَاعِي الضَّأْنِ تَتَّبَعُهُ السَّوَامُ^(٥)
فَلَوْلَا الْعِلْمُ مَا سَعِدَتْ رِجَالٌ وَلَا عُرِفَ الْحَلَالُ وَلَا الْحَرَامُ^(٦)

(١) هتاكاً (وزن فعلاً للمبالغة): أي كثير الهلك.

(٢) لبياً: عاقلاً وفطناً.

(٣) الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٤٩/٩)، أيضاً: آداب الشافعي للعلامة الرازي ص ٢٧٣.

(٤) بلوتك: اخترتك - الخليفة: الطبيعة.

(٥) الضأن: الغنم - السوام: السائمة أي الماشية التي تسوم أي ترعى، والسوام: المال الراعي كما تقول العرب من إبل وأغنام ونحوها.

(٦) يبين فضل العلم في توعية النفوس ويقول لولاه ما ميّز المرء بين الحلال والحرام.

(١٢٩)

فَقَدْ عَادَاكَ

جاء في كتاب «اللطائف والظرائف»^(١) قول الإمام الشافعي:

صديقك مَنْ يُعَادِي مَنْ تُعَادِي	بَطُولِ الدَّهْرِ مَا سَجَعَ الْحَمَامُ ^(٢)
وَيُوفِي الدِّينَ عَنْكَ بَغَيْرَ مَطْلٍ	وَلَا يَمُتُّنْ بِهِ أَبَدًا دَوَامُ ^(٣)
فَإِنْ صَافَى صَدِيقُكَ مِنْ تُعَادِي	وَيَفْرُحُ حِينَ تَرْشُقُكَ السَّهَامُ ^(٤)
فَإِنَّكَ هُوَ الْعَدُوُّ بَغَيْرِ شَكٍّ	تَجْتَنِبُهُ فَصُحْبَتُهُ حَرَامُ
فَلَمَّا قَدْ سَمِعْنَا بَيِّنَتَ شِعْرِ	شَبِيهَ الدُّرِّ زَيْنَتُهُ النِّظَامُ
إِذَا وَافَى صَدِيقُكَ مَنْ تُعَادِي	فَقَدْ عَادَاكَ وَانْقَصَلَ الْكَلَامُ

(١٣٠)

بِهِمْ غَفْلَةٌ

جاء في «الفهرست»^(٥): حَدَّثَ أَبُو الْحَسَنِ الصَّابُونَجِيُّ الْمَصْرِيَّ قَالَ: رَأَيْتُ قَبْرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيِّ بِمَصْرَ بَيْنَ بَيْطَارِ بِلَالٍ وَبَيْنَ الْبَرْكَتَيْنِ وَعِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ:

قَضَيْتُ نَخْبِي فُسْرَ قَوْمٍ	حَمَقَى بِهِمْ غَفْلَةً وَنَوْمُ ^(٦)
كَأَنَّ يَوْمِي عَلَيَّ حَتْمٌ	وَلَيْسَ لِلشَّامِتِينَ يَوْمُ ^(٧)

(١) انظر اللطائف والظرائف للتحالبي (ص ١٤٨).

(٢) سجع الحمام: تطريه في صوته، والسجع أيضاً صوت الحمام على وتيرة واحدة.

(٣) يوفي الدين عنك: يسدده - المظل: المماثلة - لا يمتن: لا يحتملك المنة.

(٤) ترشقك السهام: ترميك.

(٥) الفهرست: لابن التديم.

(٦) قضى نحبه: مات - الحمقى: الأغبياء.

(٧) الأمر الحتم: المحتوم، الذي لا مفر منه.

(١٣١)

إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ

وقال الشافعي رضي الله عنه :

أَجُودُ بِمَوْجُودٍ وَلَوْ بِتُ طَاوِيَا عَلَى الْجُوعِ كَشْحًا وَالْحَشَا يَتَأَلَّمُ^(١)
وَأُظْهِرُ أَسْبَابَ الْغِنَى بَيْنَ رِفْقَتِي لِيَخْفَاهُمْ حَالِي وَإِنِّي لِمُعْدِمٌ^(٢)
وَبَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَشْكُو فَاقْتِي حَقِيقًا فَإِنَّ اللَّهَ بِالْحَالِ أَعْلَمُ^(٣)

(١٣٢)

أَسْتَمْطِرُ الْجُودُ

وقال رضي الله عنه :

بِمَوْقِفِ ذُلِّي دُونَ عِزَّتِكَ الْعُظْمَى بِمَخْفِي سِرِّ لَا أَحِيطُ بِهِ عِلْمًا
بِإِطْرَاقِ رَأْسِي، بِاغْتِرَافِي بِذِلَّتِي بِمَدِّ يَدِي، أَسْتَمْطِرُ الْجُودَ وَالرُّحْمَى^(٤)
بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى الَّتِي بَغَضُ وَضْفِهَا لِعِزَّتِهَا يَسْتَغْرِقُ النَّثْرَ وَالنَّظْمَا^(٥)
بِعَهْدِ قَدِيمٍ مِمَّنْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ يَمَنْ كَانَ مَكْنُونًا فَعُرِّفَ بِالْأَسْمَا^(٦)
أَذَقْنَا شَرَابَ الْأَنْسِ يَا مَنْ إِذَا سَقَى مُحِبًّا شَرَابًا لَا يُضَامُ وَلَا يَظْمَا^(٧)

(١) طاوياً: جانعاً - الكشح: من السرة إلى المتن أي ما بين الخاصرة والضلوع الخلفية - يقال: فلان طوى

كشحاً على حقد: أي اضغن واضمر الحقد.

(٢) أسباب: دواعي - معدم: معوز، لا أملك شيئاً.

(٣) الفاقة: العوز.

(٤) استمطر الله الجود: سأله إياه، والجود: العطاء والكرم - الرُحْمَى: رقة القلب والانعطاف الذي يقتضي

المغفرة والإحسان.

(٥) يقول: إن وصف أسماء الله الحسنى وما فيها من العزة ليعجز بلاغة النثرين والتأظيمين.

(٦) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ

بربكم؟ قالوا بلى...﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(٧) لا يضام: لا يصيبه ضيم، والضيم الذل والهوان - يظما: مخفف: يظماً أي يعطش.

(١٣٣)

كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا

حدّث المزنّي وهو إبراهيم إسماعيل بن يحيى
قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه،
فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت في الدنيا
راحلاً، وللاخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً،
وعلى الله جلّ ذكره وارداً ولا والله ما أدرى روعي
نصير إلى الجنة أم إلى النار؟ ثم بكى وأنشأ يقول^(١):

وإن كُنْتُ يا ذا المَنِّ والجُودِ مُجرَماً
جَعَلْتُ الرَّجاءَ مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلْماً^(٢)
بِعَفْوِكَ رَبِّي كَأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمًا^(٣)
تَجُودُ وَتَغْفُو مِنَّةً وَتَكْرَمًا^(٤)
فَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيكَ آدَمًا^(٥)
أَهْنا وَأَما لِلسَّعِيرِ فَأَنْدَمًا^(٦)
تَفِيضُ لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَجْفَانُهُ دَمًا^(٧)
عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ مَأْتَمًا
وَفِي مَا سِوَاهُ فِي الْوَرَى كَأَنَّ أُعْجَمًا^(٨)
وَمَا كَانَ فِيهَا بِالْجَهَالَةِ أَجْرَمًا

إِلَيْكَ إِلَهَ الْخَلْقِ أَزْفَعُ رَغْبَتِي
وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرْنَتْهُ
فَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَضْمُدْ لِإِبْلِيسَ عَابِدُ
فِيالَيْتَ شِغْرِي هَلْ أَصِيرُ لَجَنَةٍ
فَلَلَّهُ دُرُّ الْعَارِفِ النَّذْبِ إِنَّهُ
يُقِيمُ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ ظِلَامَهُ
فَصِيحاً إِذَا مَا كَانَ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ
وَيَذْكُرُ أَيَّاماً مَضَتْ مِنْ شَبَابِهِ

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء (٦/٣٨٢)، انظر أيضاً طبقات الشافعية (ص ١٤).

(٢) ضاقت مذاهبي: ضاقت سبل خلاصي - يقول: إنه ضاقت عليه السبل فجعل رجاءه سلماً إلى الله طلباً للرحمة.

(٣) قرنته: جعلته يقترون أي جعلته في موازنة عفو الله.

(٤) يقول: إن المرء يدأب على الذنب والله يغفو بفضل منته وكرمه.

(٥) يصمد: يثبت - إبليس: رمز للشيطان الذي يوسوس للإنسان - الصفي: الذي اصطفاه الله أي اختاره من بين الملائكة.

(٦) السعير: النار، جهنم.

(٧) الوجد: شدة الحب والحنين واللهفة.

(٨) فصيحاً: قادراً على البيان - الوري: الخلق - أعجم: غير فصيح.

أَخَا السُّهْدِ وَالنَّجْوَى إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا^(١)
كَفَى بِكَ لِلرَّاجِينَ سُؤلاً وَمَغْنَمًا^(٢)
وَلَا زِلْتَ مَثَاناً عَلَيَّ وَمُنْعِمًا^(٣)
وَيَسْتُرُ أَوْزَارِي وَمَا قَدْ تَقَدَّمَا^(٤)
وَلَوْلَا الرِّضَا مَا كُنْتَ يَا رَبُّ مُنْعِمًا
ظُلُومَ غَشُومَ لَا يَزِيلُ مَائِمًا^(٥)
وَلَوْ أَدْخَلُوا نَفْسِي بِجَرَمِ جَهَنَّمَا
وَعَفْوِكَ يَأْتِي الْعَبْدَ أَعْلَى وَأَجْسَمَا
وَنُورٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يَفْتَرِشُ السَّمَاءَ
إِذَا قَارَبَ الْبُشْرَى وَجَارَ إِلَى الْحَيِّ^(٦)
يَطَالِعُنِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ أَنْجُمَا
وَأَحْفَظُ عَهْدَ الْحَبِّ أَنْ يَتَثَلَّمَا^(٧)
تَلَا حَقَّ خَطْوِي نَشْوَةً وَتَرْتُمَا
وَمَنْ يَرْجُهُ هَيْهَاتَ أَنْ يَتَنَدَّمَا^(٨)

فَصَارَ قَرِينَ الْهَمِّ طُولَ نَهَارِهِ
يَقُولُ حَبِيبِي أَنْتَ سُؤْلِي وَبُغْيَتِي
أَلَسْتَ الَّذِي غَدَيْتَنِي وَهَدَيْتَنِي
عَسَى مِنْ لَهُ الْإِحْسَانُ يَغْفِرُ زَلَّتِي
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَأَقْبَلْتُ خَاشِعاً
فَإِنْ تَغْفُ عَنِّي تَغْفُ عَنْ مُتَمَرِّدٍ
وَلَنْ تَنْتَقِمَ مِنِّي فَلَسْتُ بِأَيْسٍ
فَجَزَمِي عَظِيمٌ مِنْ قَدِيمٍ وَحَادِثٍ
حَوَالِي فَضْلُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَفِي الْقَلْبِ إِشْرَاقُ الْمَحَبِّ بِوَضْلِهِ
حَوَالِيَّ إِنْسَاسٌ مِنَ اللَّهِ وَخَدَهُ
أَصُونُ وَدَادِي أَنْ يَدْنُسَهُ الْهَوَى
فَفِي يَفْقُطْتِي شَوْقٌ وَفِي عَفْوَتِي مُنَى
وَمَنْ يَغْتَصِمَ بِاللَّهِ يَسْلَمَ مِنَ الْوَرَى

(١٣٤)

وَاجِبُ صَوْنُهُ

وقال الشافعي رضي الله عنه في العلم وضرورة صونه :

الْعِلْمُ مِنْ فَضْلِهِ، لِمَنْ خَدَمَهُ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ خَدَمَهُ

(١) القرين: المثل، النظير - السُّهْد: الأرق.

(٢) البغية: المبتغى، الطلب - المغنم: الغنيمة.

(٣) مَثَاناً وَمُنْعِمًا: متفضلاً.

(٤) الزَّلَّة: السقطة - الأوزار: جمع وزر وهو العبء الثقيل.

(٥) ظُلُومَ وَغَشُومَ: ظالم - المائِم: الإثم.

(٦) جَارَ إِلَى: اجتاز.

(٧) أَصُونُ وَدَادِي: أحفظه، والود: المحبة - يدْنُسُهُ: يجعله دنساً أي قذراً غير طاهر - يتَصَدَّعُ.

(٨) يعتصم بالله: يلوذ به، يتمسك بحبال رحمته - هيهات: اسم فعل ماض بمعنى بعد - يقول من اعتصم بالله حفظ نفسه من شرور الناس ولا يندم أبداً.

فَوَاجِبٌ صَوْنُهُ عَلَيْهِ كَمَا يَصُونُ فِي النَّاسِ عِرْضَهُ وَدَمَهُ^(١)
فَمَنْ حَوَى الْعِلْمَ ثُمَّ أَوْدَعَهُ بِجَهْلِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ ظَلَمَهُ^(٢)

(١٣٥)

لَسْتُ مُضِيعاً

جاء في معجم الأدباء^(٣): أخبر عثمان بن محمد
العثماني وحَدَّث عنه أبو محمد بن حيان قال: حَدَّثنا
أبو علي النيسابوري - ببغداد - حَدَّثني بعض أصحابنا
أن محمد بن إدريس الشافعي لما دخل مصر أتاه جَلَّة
أصحاب مالك وأقبلوا عليه فابتدأ يخالف أصحابه ثم
أنشد قائلاً:

أَنْشُرُ دُرّاً بَيْنَ سَارِحَةِ الْبَهْمِ وَأَنْظِمُ مَنْشُوراً لِرَاعِيَةِ الْغَنَمِ^(٤)
لَعُمْرِي لَئِنْ ضُيِّعْتُ فِي شَرِّ بَلَدَةٍ فَلَسْتُ مُضِيعاً فِيهِمْ غَرَرَ الْكَلِمِ^(٥)
لَئِنْ سَهَّلَ اللَّهُ الْعَزِيزُ بِلَطْفِهِ وَصَادَقْتُ أَهْلاً لِلْعُلُومِ وَلِلْحِكَمِ^(٦)
بَثَثْتُ مُفِيداً وَاسْتَفَقَدْتُ وَدَادَهُمْ وَإِلَّا فَمَكُتُونُ لَدَيَّ وَمُكْتَتَمُ^(٧)
وَمَنْ مَنَعَ الْجَهَالَ عِلْماً أَضَاعَهُ وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ^(٨)

(١) الصون: الحفظ - العرض: الشرف والمروءة.

(٢) أودع الشيء: جعله وديعة، وامتعه.

(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٦/ ٣٨٥ و ٣٨٦) أيضاً الأصبهاني: (حلية الأولياء (٩/ ٥٣).

(٤) سارحة البهم: السائمة، وأراد بالدُرِّ درر العلم، وبشر المنظوم الشعر.

(٥) غرر الكلم: مآثور الكلام، الحكم الرفيعة.

(٦) صادفت: لقيت صدفة.

(٧) بثثت: من بث يث بثاً الكلام: نشرت وأذعت - الوداد: المحبة - مكثون: محفوظ ومستور.

(٨) المستوجبين: الجديرين الذين يستحقون التعلم.

قافية النون

(١٣٦)

صُنْتُ نَفْسِي

وقال الشافعي رضي الله عنه يصف قناعته وصون
نفسه عن الهوان:

فَنِغْتُ بِالْقُوتِ مِنْ زَمَانِي	وَصُنْتُ نَفْسِي عَنِ الْهَوَانِ ^(١)
خَوْفًا مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقُولُوا	فَضْلُ فُلَانٍ عَلَى فُلَانٍ
مَنْ كُنْتُ عَنْ مَالِهِ غَنِيًّا	فَلَا أَبَالِي إِذَا جَفَّانِي
وَمَنْ رَأَنِي بِعَيْنِ نَقْصٍ	رَأَيْتُهُ بِأَلْتِي رَأَنِي
وَمَنْ رَأَنِي بِعَيْنِ تَمٍّ	رَأَيْتُهُ كَامِلَ الْمَعَانِي ^(٢)

(١٣٧)

لَمْ تُغْنِ

قال الشافعي رضي الله عنه في صديق له تولى إمرة
بعض النواحي فتغيرت عاداته عما كانت عليه فكتب
إليه الإمام يقول^(٣):

إِذْهَبَ فَوْدُكَ مِنْ فَوَادِي طَالِقٍ	أَبْدَأَ وَلَيْسَ طَلَاقُ ذَاتِ الْبَيْنِ ^(٤)
-----------------------------------------	----------------------------------------------------------

(١) القوت: ما يقتات به المرء من طعام أو غذاء ليقيم أوده - صنت نفسي عن الهوان: حفظتها من الذل.

(٢) يقول من رأني بعين الكمال أدركت ما فيه من جوهر المعاني وكمالها.

(٣) أي الإمام الشافعي.

(٤) طالق: المتروك المبعد - طلاق ذات البين: الطلاق الذي لا رجعة فيه، أي الطلاق بالثلاث.

فإن ازعويت فإئها تَطْلِيْقَةٌ وَيَدُوْمُ وَذَكَ لِي عَلَى ثِنْتَيْنِ^(١)
وإن امتنعت شَفَعْتُهَا بِمِثْلِهَا فَتَكُوْنُ تَطْلِيْقَيْنِ فِي حَيْضَيْنِ^(٢)
وإذا الثلاثُ أتثك مني بَثَّةٌ لم تُغنِ عنك ولايَةُ «السَّيْبَيْنِ»^(٣)

(١٣٨)

سُنَّةُ الدِّينِ

جاء في معجم الأدباء^(٤): قال الإمام الشافعي في التعزية:

إني أَعَزِّيكَ لا أُنِّي عَلَى طَمَعٍ مِنْ الْخُلُودِ، وَلَكِنْ سُنَّةُ الدِّينِ^(٥)
فما المَعَزِّي بِبَاقٍ بَعْدَ صَاحِبِهِ ولا المَعَزَّى وَإِنْ عَاشَا إِلَى حِينِ^(٦)

(١٣٩)

هَذَا بِذَاكَ

وقال رضي الله عنه:

تَحَكَّمُوا فَاسْتَطَالُوا فِي تَحَكُّمِهِمْ وَعَمَّا قَلِيلٍ كَأَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ^(٧)
لَوْ أَنْصَفُوا، أَنْصَفُوا لَكِنْ بَغَوْا فَبَغَى عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ بِالْأَخْزَانِ وَالْمَحَنِ^(٨)
فَأَصْبَحُوا وَلِسَانُ الْحَالِ يُنْشِدُهُمْ هَذَا بِذَاكَ وَلَا عَتَبَ عَلَى الزَّمَنِ

(١) ارعويت: من ارعوى ارتدع واهتدى - اثنتين.

(٢) شفعتها: قرنتها - الحيضين: مثني الحيض وفي هذا تؤخذ أحكام الطلاق فالأمة إذا طلقت اعتدت شهرين وخمساً أو طهرين أو حيضين، والحيض خروج دم من المرأة في وقت مخصوص على وجه مخصوص فهي حائض وحائضة.

(٣) الثلاث: أي الطلاق ثلاثاً - بثة: أي بصورة باثة - لم تغن عنك: لم تجدك ولم تنفعك - السيبين: اسم بلد.

(٤) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي (٣٠٨/٧) انظر أيضاً: الشريشي: شرح المقامات.

(٥) بسنة الدين: سنة التعزية للمجاملة وغرضها حمل المفجوع بعزير على الصبر لحمله على الصبر والسلوان.

(٦) المعزّي (بالكسر): الذي يقدم التعزية - المعزّي (بالتفتح): المفجوع الذي نقدم إليه عزاءنا - الحين: أي الحين.

(٧) .. لم يكن: أي كأن الأمر بعد الزوال لم يكن موجوداً كناية عن أن الموت يمحو كل أثر.

(٨) بغو: ظلموا - المحن: جمع محنة المصائب.

(١٤٠)

إِلَّا بِسِتَّةٍ

قال الإمام الشافعي^(١) محدداً الشروط الأساسية لتحصيل العلم :

أَخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيَانٍ^(٢)
ذِكَاً، وَحِرْصٍ، وَاجْتِهَادٍ، وَبُلْعَةٍ وَصُحْبَةِ أَسْتَاذٍ، وَطُولِ زَمَانٍ^(٣)

(١٤١)

وَسَوَاسُ الشَّيَاطِينِ

وقال الإمام الشافعي^(٤) رضي الله عنه، بعد حديثه : «إِذَا
رَأَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ فَكَأَنَّمَا رَأَيْتَ رَجُلًا مِنْ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرًا حَفَظُوا لَنَا الْأَصْلَ
فَلَهُمْ عَلَيْنَا الْفَضْلُ» :

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ إِلَّا الْحَدِيثُ وَعِلْمُ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ^(٥)
الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسَوَاسُ الشَّيَاطِينِ^(٦)

(١٤٢)

لَسْتُ بِوَاجِدٍ

قال الأصبهاني : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ
مُحَمَّدَ بْنَ بَشِيرٍ الْأَبْرِي يَقُولُ : سَمِعْتُ الرَّبِيعَ يَقُولُ : كُنْتُ عِنْدَ
الشَّافِعِيِّ فَجَاءَ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ بِكَلَامٍ فَأَنشَأَ الشَّافِعِيُّ يَقُولُ^(٧) :

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتُ بِوَاجِدٍ طَبِيباً يُدَاوِي مَنْ جُنُونٍ جُنُونٍ

(١) انظر المجموعة المباركة .

(٢) أنبيك : أنبئك ، أخبرك - البيان : الوضوح .

(٣) يعدد الشروط الستة وهي حاجة المتعلم إلى العقل الذكي والحرص على التعلم ، والدأب في الاجتهاد وبلغة العيش واصطحاب أستاذ يستفاد منه العلم والحاجة إلى زمن طويل .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية (٢٥٤/١٠) .

(٥) المشغلة : كل ما يشغل المرء عما هو أوجب فيضيع فرصة الانتفاع به .

(٦) وسواس الشياطين : صوتهم الخفي من قوله تعالى : ﴿فَسُوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [سورة الأعراف : ١٩] .

(٧) انظر الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٤٧/٩) .

(١٤٣)

يسوني

وقال رضي الله عنه :

سَأُضْبِرُ لِلْحِمَامِ وَقَدْ أَتَانِي وَإِلَّا فَهَوَاتِ بَغْدَ حِينِ^(١)
وإنْ أَسْلَمَ يَمُتْ قَبْلِي حَبِيبُ وموتُ أَحْبَّتِي قَبْلِي يسوني^(٢)

(١٤٤)

الصَّمْتُ أَجْمَلُ

وقال الشافعي رضي الله عنه :

لَا خَيْرَ فِي حَشْوِ الْكَلَا مِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَى عُيُونِهِ^(٣)
وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى مِنْ مَنْطِقِي فِي غَيْرِ حِينِهِ
وَعَلَى الْفَتَى لِطِبَاعِهِ سِمَةٌ تَلُوخُ عَلَى جَبِينِهِ^(٤)

(١٤٥)

لُقْمَةٌ تَكْفِينِي

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

رَأَيْتُكَ تَكْوِينِي بِمَيْسَمِ مِئَةٍ كَأَنَّكَ كُنْتَ الْأَضْلَ فِي يَوْمِ تَكْوِينِي^(٥)
فَدَعْنِي مِنَ الْمَنْ الْوَحِيمِ فَلُقْمَةٌ مِنَ الْعَيْشِ تَكْفِينِي إِلَى يَوْمِ تَكْفِينِي^(٦)

(١) الحمام : الموت - بعد حين : بعد زمن .

(٢) يسوني : مخفف يسوءني أي يؤذيني ويؤلمني .

(٣) حشو الكلام : الرديء ، التافه الخالي من البيان والبلاغة - عيون الكلام : أفضله وأشرفه .

(٤) السمة : العلامة - تلوخ : تظهر .

(٥) الميسم : أداة الوسم أي الكي مثل المكواة وهي أصلاً لوسم السائمة أو المواشي لتحديد الجهة التي تمتلكها .

(٦) الوحيم : السيء العاقبة .

(١٤٦)

كَحَلْتُ بِهِ أَجْفَانِي

قيل: ذكر الشافعي بلدة غزة مولده فقال^(١):

وَإِنِّي لَمُشْتَقٌّ إِلَى أَرْضِ غَزَّةٍ وَإِنْ خَانَنِي بَعْدَ التَّفَرُّقِ كِثْمَانِي^(٢)
سَقَى اللَّهُ أَرْضاً لَوْ ظَفِرْتُ بِتُرْبِهَا كَحَلْتُ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الشُّوقِ أَجْفَانِي

(١٤٧)

كُلُّكَ سَوَاءَاتٌ

وقال الإمام الشافعي ينصح بحفظ اللسان عن ذكر
سوءات الأنام:

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيماً مِنَ الرَّدَى وَدَيْئِكَ مَوْفُورٌ وَعَرْضُكَ صَيِّنٌ^(٣)
فَلَا يَنْطِقَنَّ مِنْكَ اللِّسَانُ بِسَوَاءٍ فَكُلُّكَ سَوَاءَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنٌ^(٤)
وَعَيْنَاكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَائِباً فَدَغَهَا وَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَغْيُنٌ^(٥)
وَعَاشِرٌ بِمَعْرُوفٍ، وَسَامِخٌ مَنِ اغْتَدَى وَدَافِعٌ وَلَكِنْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ^(٦)

(١٤٨)

سَهَرَتْ وَنَامَتْ

وقال الشافعي أيضاً:

سَهَرَتْ أَغْيُنٌ، وَنَامَتْ عُيُونٌ فِي أُمُورٍ تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ

(١) انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان (٣/٢٠٢).

(٢) غزة: مدينة في جنوبي فلسطين على شاطئ المتوسط - الكتمان: عدم البوح.

(٣) الردى: الموت - موفور: محفوظ - عرضك صين: منيع.

(٤) السوأة: العورة - يقول: لا تتناول سوءات الآخرين لأنك بدورك ذو عورات وللناس ألسن يتناولونك بها كما تتناولهم.

(٥) المعائب: العيوب.

(٦) يدعو الشافعي إلى حسن المعاشرة والتسامح والدفاع عن النفس بأنجع السبل وأحسنها.

فَاذْرَا الْهَمَّ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ النَّفْسِ سِ فَجَمَلَانِكَ الْهُمُومَ جُنُونُ^(١)
 إِنَّ رَبًّا كَفَّاكَ بِالْأَمْسِ مَا كَا نَ سَيَكْفِيكَ فِي عَدٍ مَا يَكُونُ

(١٤٩)

أَرَحْتُ نَفْسِي

ومن شعر الإمام الشافعي قوله في تهذيب نفسه من
 المطامع

أَمْتُ مَطَامِعِي فَأَرَحْتُ نَفْسِي فَإِنَّ النَّفْسَ مَا طَمِعَتْ تَهُونُ^(٢)
 وَأَخِيئْتُ الْقُنُوعَ وَكَأَنَّ مَيْتًا فَنَفِي إِخْيَائِهِ عِزُّ مَصُونُ^(٣)
 إِذَا طَمَعٌ يَحِلُّ بِقَلْبٍ عَبْدٍ عَلَّثَهُ مَهَانَةٌ وَعَلَاهُ هُونُ^(٤)

(١٥٠)

إِحْفَظْ لِسَانَكَ

وقال الشافعي رضي الله عنه في صون
 اللسان وكيف يكون إذا لم يحفظ خطراً على
 الإنسان:

إِحْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلِدْغَنُّكَ إِنَّهُ تُغْبَانُ^(٥)
 كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانِهِ كَأَنَّ تَهَابُ لِقَاءِهِ الْأَقْرَانُ^(٦)

(١) ادراً الهم: ادفعه وأدفعه - حملتك: حملك - يقول: لا تثقل على نفسك الهموم بل ادفعها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

(٢) يقول إنه بدد مطامعه فأراح بذلك نفسه مؤكداً أن المطامع تؤدي إلى إذلال النفس.

(٣) القنوع: القناعة - يقول إنه أमत الطمع فأحى في نفسه القناعة وبالقناعة يصون المرء عرضه ويحفظه من كل سوء.

(٤) المهانة: الازدراء.

(٥) يشبه اللسان بالثعبان وأن المرء إذا لم يحفظه لدغته وجلب لنفسه الأذى.

(٦) يقول إن في المقابر كثيراً من أولئك الذين قتلهم لسانهم فماتوا برخص مع أن الأقران كانت تهابهم، والأقران جمع القرين وهو المثل في الخلق والطبيعة.

(١٥١)

لَأُكْرِمَهُمْ

روي أن أبا يعقوب البويطي قال: لم أزل أسمع
الشافعي يردد هذا البيت كثيراً:

أَهْمِنُ لَهُمْ نَفْسِي لِأُكْرِمَهُمْ بِهَا وَلَنْ تُكْرِمَ النَّفْسُ الَّتِي لَا تُهَيِّنُهَا

(١٥٢)

الْعَيْبُ فِينَا

وقال الشافعي رضي الله عنه:

نُعَيْبُ زَمَانِنَا وَالْعَيْبُ فِينَا وَمَا لِرَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا
وَنَهْجُو ذَا الزَّمَانِ بغيرِ ذَنْبٍ وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ لَنَا هَجَانَا
وَلَيْسَ الذُّبُّ يَأْكُلُ لَحْمَ ذَنْبٍ وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا عَيَانًا^(١)

(١٥٣)

خَافُوا الْفِتْنََ

وقال الشافعي أيضاً يصف الصالحين الذين أدركوا
زوال الدين عندهم

إِنَّ اللَّهَ عِبَاداً فُطِنَّا تَرَكُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنََا^(٢)
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطِنَا^(٣)
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفْنَا^(٤)

(١) يقول: إنَّ الذَّنَابَ يأكل بعضها لحم البعض الآخر، فالعار إذاً أن يأكل أحدهنا لحم أخيه وهذا كناية عن السباب والشتم.

(٢) فُطِنَا: ذوي فُطْنَةٍ - الفتن: جمع فتنة وهي إثارة الشرور وما يسبب القتال بين الناس.

(٣) انظروا فيها: أي في الدنيا.

(٤) اللُجَّة: أكثر الماء - يقول: إن العقلاء ذوي الفطنة أدركوا أن الحياة فانية وزائلة فجعلوا الدنيا لُجَّةً تمخرها سفنهم بصالح الأعمال.

(١٥٤)

فَبَشِّرْهُ

وقال الإمام الشافعي يحدّد أثر العلم في سيرة الإنسان وخلقهِ^(١) :

إِذَا لَمْ يَزِدْ عِلْمُ الْفَتَى قَلْبَهُ هَدًى وَسِيرَتُهُ عَدْلًا وَأَخْلَاقُهُ حُسْنًا
فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللَّهَ أَوْلَاهُ نَقْمَةً يُسَاءُ بِهَا مِثْلَ الَّذِي عَبَدَ الْوُثْنَ^(٢)

(١٥٥)

عَمِيقٌ بَخْرُهُ

وقال الشافعي رضي الله عنه يصف اتساع بحر العلوم^(٣) :

لَنْ يَبْلُغَ الْعِلْمَ جَمِيعاً أَحَدٌ لَا وَلَوْ حَاوَلَهُ أَلْفَ سَنَةٍ
إِنَّمَا الْعِلْمُ عَمِيقٌ بَخْرُهُ فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ^(٤)

(١٥٦)

الصَّبْرُ جُنَّةٌ

وقال الإمام الشافعي^(٥) :

لَا تَخْمِلَنَّ لِمَنْ يَمُنُّ مِنَ الْأَنَامِ عَلَيْكَ مِئَّةً^(٦)
وَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ حَظَّهَا وَأَضْبِرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ جُنَّةٌ^(٧)

(١) انظر حاشية الصاوي (أحمد بن محمد)، في تفسير الجلالين.

(٢) يقول: إذا لم يكن قلب الفتى بريئاً من الظلم مليئاً بالهوى فالله سيؤليه نقمة كتلك التي يُمنى بها عابد الوثن.

(٣) انظر كتاب الجواهر الزكية ص ٢١٩.

(٤) يشير إلى عمق بحر العلم ويدعو إلى الأخذ من كل علم أحسنه ما دام المرء غير قادر على أن يعي العلوم جميعها.

(٥) أحمد الهاشمي: جواهر الأدب (٢/٤٦١).

(٦) الأنام: الناس.

(٧) الجنة: السترة، والدرع الواقية جمع الجُنَن.

مِنَ الرُّجَالِ عَلَى الْقُلُوبِ أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ الْأَسِنَّةِ^(١)
(١٥٧)

مَا شِئْتُ كَانَ

قال ابن خزيمة^(٢) عن المزني^(٣) عن الشافعي أنه
قال:

مَا شِئْتُ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتُ الْعِبَادَ لِمَا قَدْ عَلِمْتُ فِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتَى وَالْمُسِنُ^(٤)
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنُ^(٥)
عَلَى ذَا مَنَنْتَ، وَهَذَا خَذَلْتُ، وَذَاكَ أَعَثَبْتُ، وَذَا لَمْ تُعِنِ^(٦)

(١٥٨)

مِنْ أَقْوَى الْفِطَنِ

وقال الإمام الشافعي في سوء الظن:

لَا يَكُنْ ظَنُّكَ إِلَّا سَيِّئاً إِنَّ سَوْءَ الظَّنِّ مِنْ أَقْوَى الْفِطَنِ
مَا رَمَى الْإِنْسَانَ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرُ حُسْنِ الظَّنِّ وَالْقَوْلِ الْحَسَنِ^(٧)

(١) الأسنة: رؤوس الرماح، جمع سنان.

(٢) هو ابن خزيمة محمد بن إسحاق السلمي المكنى بأبي بكر من علماء نيسابور الكبار [٢٢٣ - ٣١١ هـ] = (٧٣٧ - ٨٢٣ م) جمع بين الفقه والحديث طبقت شهرته آفاق مصر والشام وبلاد الجزيرة والعراق، وكان إمام عصره بل إمام الأئمة كما وصفه المؤرخون.

(٣) المزني: هو إسماعيل بن يحيى المزني المكنى بأبي إبراهيم من معاصري الشافعي وأحد أصحابه الكبار [١٧٥ - ٢٦٤ هـ] = (٧٩١ - ٨٧٧ م).

(٤) المسن: خلاف الفتى، الطاعن في العمر.

(٥) يشير إلى اختلاف العباد في السعادة والشقاء والحسن والقيح.

(٦) خذله: أفشله وحال دون نجاحه.

(٧) المخمصة (وزن مفعلة): المجاعة أي خلاء بطن المرء من الطعام.

(١٥٩)

أَتْرَكَ هَوَاهُ

وجاء في المخلاة^(١) للعالملي: قال الشافعي رضي

الله عنه:

زَنْ مِنْ وَزَنْتَ بِمَا وَرَّ	نَكَ وَمَا وَزَنْتَ بِهِ فَرِزْنُهُ
مَنْ جَا إِلَيْكَ فَرُخْ إِلَيْهِ	هَ وَمَنْ جَفَاكَ فَصُدَّ عَنْهُ ^(٢)
مَنْ ظَنَّ أَنَّكَ دُونَهُ	فَاتْرَكَ هَوَاهُ إِذَا وَهِنُهُ ^(٣)
وَارْجِعْ إِلَى رَبِّ الْعِيبَا	دِفْ كُلُّ مَا يَأْتِيكَ مِنْهُ ^(٤)

(١) المخلاة لبهاء الدين العالملي (ص ٢٩١).

(٢) رح إليه: اذهب إليه - جفاك: أعرض عنك - صدَّ عنه: أعرض عنه من الصدود.

(٣) دونه: أقل مكانة منه - هته: وجهه إليه الإهانة.

(٤) يدعو بالرجوع إلى الله لأن كل ما يقع لنا إنما هو بمشيئته.



قافية الهاء

(١٦٠)

لا خَيْرَ فِيهِ

وجاء في شرح المقامات للشريشي^(١): قال
الشافعي رضي الله عنه:

سَأَتْرُكَ حُبَّكُمْ مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ وَلَا أَرْضَى مُقَارَنَةَ السَّفِيهِ
وَتَحْتَرِمُ الْأَسْوَدُ وَرُودَ مَاءٍ إِذَا كَانَ الْكِلَابُ وَلَغَنَ فِيهِ^(٢)
إِذَا دَبَّ الدَّبِيبُ عَلَى طَعَامٍ سَأَتْرُكُهُ وَقَلْبِي يَشْتَهِيهِ
إِذَا شَرِبَ الْأَسَدُ مِنْ خَلْفِ كَلْبٍ فَهَذَا ذَاكَ الْأَسَدُ لَا خَيْرَ فِيهِ^(٣)

(١٦١)

مَنْزِلَةُ السَّفِيهِ

وجاء في المخلاة للعالملي: قال
الشافعي:

وَمَنْزِلَةُ السَّفِيهِ مِنَ الْفَقِيهِ كَمَنْزِلَةِ الْفَقِيهِ مِنَ السَّفِيهِ
فَهَذَا زَاهِدًا فِي قُرْبِ هَذَا وَهَذَا فِيهِ أَزْهَدُ مِنْهُ فِيهِ
إِذَا غَلَبَ الشُّقَاءُ عَلَى سَفِيهِ تَقَطَّعَ فِي مَحَالَفَةِ الْفَقِيهِ

(١٦٢)

(١) مقامات الشريشي: (ص ٤١٦).

(٢) ولغت الكلاب في الماء: شربت منه، ويكون الولغ شرباً باللسان، والولغ للسباع كالكلاب والذئاب.

(٣) يقول لا خير في أسد إذا شرب من خلف كلب يريد امتهانه لذته وقلة اعتداده بنفسه.

تَصَبَّرَ لِلْبَلَوَى

وجاء في المخلاة للعالملي^(١): قال الشافعي:

أَرَى حُمْرًا تَزْعَى وَتُغْلَفُ مَا تَهْوَى وَأُسْدًا جِياعاً تَظْمَأُ الدَّهْرَ لَا تُرْوَى^(٢)
وَأَشْرَافَ قَوْمٍ لَا يَنَالُونَ قُوَّتَهُمْ وَقَوْمًا لِيثَامًا تَأْكُلُ الْمَنَ وَالسَّلْوَى^(٣)
قَضَاءَ لَدَيَّانِ الْخَلَائِقِ سَابِقَ وَلَيْسَ عَلَى مَرِّ الْقَضَا أَخَذَ يَقْوَى^(٤)
فَمَنْ عَرَفَ الدَّهْرَ الْخَوْوَنَ وَصَرَفَهُ تَصَبَّرَ لِلْبَلَوَى وَلَمْ يُظْهِرِ الشُّكْوَى^(٥)

(١) المخلاة للعالملي ص ٢٨٢.

(٢) تغلف: تطعم العلف - نظماً: تعطش - لا تروى: لا تسقى.

(٣) القوت: ما يسد الرمق، أود العيش - المن: كل ما ينعم به، والمن مائة تنعقد على بعض الأشجار عسلاً وتجف كالصمغ والمن هو الذي أنزله الله بأعجوبة بالبرية على بني إسرائيل، كما ورد في القرآن الكريم ليقننوا به - السلوى: العسل.

(٤) الديان: القهار - القضاء: مخفف القضاء، حكم القدر.

(٥) الخوون: الخائن - صرف الدهر: حوادثه - البلوى: المصيبة.



(١٦٣)

أعرض عن الجاهل

ومن كلام الشافعي رضي الله عنه :

أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِ السَّفِيهِ فَكُلُّ مَا قَالَ فَهُوَ فِيهِ^(١)
فَمَا ضَرَّ بِخَرِ الْفُرَاتِ يَوْمًا أَنْ خَاصَّ بَغْضُ الْكِلاَبِ فِيهِ^(٢)

(١٦٤)

وعين الرضا

وقال الإمام الشافعي :

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْنٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تَبْدِي الْمَسَاوِيَا^(٣)
وَلَسْتُ بِهَيَّابٍ لِمَنْ لَا يَهَابُنِي وَلَسْتُ أَرَى لِلْمَرْءِ مَا لَا يَرَى لِيَا^(٤)
فإِنْ تَدُنْ مِنِّي، تَدُنْ مِنْكَ مَوَدَّتِي وَإِنْ تَنَأَ عَنِّي، تَلَقَّنِي عَنْكَ نَائِيَا^(٥)
كَلَانَا عَنِّي عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مِثْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا^(٦)

(١) أعرض عن : ابتعد .

(٢) بحر الفرات : نهر الفرات .

(٣) كليلة : ضعيفة - السخط : عدم الرضى .

(٤) هياب (فعال) : كثير التهيب أي كثير الخوف .

(٥) إن تدن : إن تقترب - إن تنأ : إن تبتعد .

(٦) يقول : نحن في غنى الواحد عن الآخر ، ولا سيما عندما نموت .

(١٦٥)

نَسِينَا الْأَمَانِي

وروى الربيع كما ذكر ابن قتيبة في عيون
الأخبار^(١)

وَجَمَرْتَنَا تَجْمِيرُ كِسْرَى جَنُودَهُ وَمَنِّيتَنَا حَتَّى نَسِينَا الْأَمَانِيَا^(٢)

(١٦٦)

تَجَاوَزُوا هَذَا

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

وَإِسْبَاطِيهِ وَفَاطِمَةُ الزُّكِّيَّةِ ^(٣)	إِذَا فِي مَجْلِسٍ نَذْكُرُ عَلِيًّا
فَهَذَا مِنْ حَدِيثِ الرَّافِضِيِّ ^(٤)	يُقَالُ تَجَاوَزُوا يَا قَوْمُ هَذَا
يَرَوْنَ الرَّفْضَ حُبَّ الْفَاطِمِيَّةِ ^(٥)	بَرِئْتُ إِلَى الْمُهِمِّينَ مِنْ أَنَاسٍ

(١) أراد بالربيع: أحد رواة، الشافعي وهو الربيع بن سليمان.

(٢) جمرتنا: من جمر الجند المقاتلين: أبقاهم في أرض العدو دون أن يعيدهم إلى وطنهم، وفي هذا قول زياد لأهل البصرة: ولست مجمراً لكم بعثاً - متيتنا: من الأمانة وهي الأمل والرجاء.

(٣) سبطيه: مثني سبط والسبط هو ولد البنت - فاطمة الزكية: أي فاطمة الزهراء عليها السلام.

(٤) تجاوزوا هذا: تخطوه - الرافضية: الجماعة الرافضة.

(٥) برئت من: أي تبرأت، فهو ينتصل من الانتساب إلى هذه الجماعة.

فهرس القوافي

٤٨.....	(٢٠) النَّاسُ دَاءٌ	٥.....	مقدمة
٤٨.....	(٢١) لَيْسَ عِنْدِي	١٣.....	ترجمة الشافعي
٤٩.....	(٢٢) كَبُرَ عَيْنِي		قافية الألف
٤٩.....	(٢٣) مَنْ لِي بِهَذَا؟	٣٥.....	(١) دَعِ الْأَيَّامَ ..
٥٠.....	(٢٤) أَلِ التَّبِيِّ ذُرَيْعَتِي	٣٦.....	(٢) لَا تُخْطِي
٥٠.....	(٢٥) النَّاسُ بِالنَّاسِ	٣٦.....	(٣) جَهْدُ الْبَلَاءِ
٥١.....	(٢٦) لَا تُجِنُّ	٣٧.....	(٤) وَاحْسِرَةَ لِفَتَى
٥١.....	(٢٧) قَدْ ضَلُّوا		قافية الباء
٥٢.....	(٢٨) مَا عَطَفُوا	٣٩.....	(٥) وَقُوفُ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ
٥٢.....	(٢٩) يَخْمِي حِمَاهُ	٤٠.....	(٦) بَاعُوا الرَّأْسَ بِالذَّنْبِ
	قافية الجيم	٤٠.....	(٧) جَرَدْتُ صَارِمًا
٥٣.....	(٣٠) لَرُبَّ نَازِلَةٍ	٤١.....	(٨) يُقَاسُ بِطِفْلِ
٥٣.....	(٣١) عَدَاوَةُ الشَّعْرَاءِ دَاءٌ	٤٢.....	(٩) أَنْتَ حَسْبِي
٥٤.....	(٣٢) صَبْرًا جَمِيلًا	٤٢.....	(١٠) خَبْرَا الْمُنْجَمِ
	قافية الحاء	٤٢.....	(١١) خَالَفَ هَوَاكَ
٥٥.....	(٣٣) إِنَّ الْجَوَابَ مِفْتَاحُ	٤٣.....	(١٢) تَمَوْتُ الْأُسْدُ جَوْعًا
٥٥.....	(٣٤) مَعَاذَ اللَّهِ	٤٣.....	(١٣) تَرَايَدْتُ رِفْعَةً
٥٦.....	(٣٥) قَاسَ وَجْهَوُلُ	٤٤.....	(١٤) مِنَ الْبَلِيَّةِ
٥٦.....	(٣٦) أَحْسَنُ بِالْإِنْسَانِ	٤٤.....	(١٥) حَبَّتْ نَارُ نَفْسِي
	قافية الدال	٤٥.....	(١٦) أَزِيدُ جَلْمًا
٥٧.....	(٣٧) هُوَ الرَّدَى	٤٦.....	(١٧) وَإِنْ سَلِمَتْ
٥٧.....	(٣٨) لَمْ أَرْ غَيْرَ شَامِتٍ	٤٦.....	(١٨) ... تَهَيَّوْهُ
٥٨.....	(٣٩) مَا لَهُمْ عَدَدُ		قافية التاء
٥٨.....	(٤٠) قُلْتُ: كَلَّا	٤٧.....	(١٩) جَزَى اللَّهُ عَنَّا

- (٤١) كَمْ ضَاحِكٍ ٥٩
 (٤٢) عَفَا اللَّهُ ٥٩
 (٤٣) حَسْبُكَ حَظًّا ٥٩
 (٤٤) وَلَوْ لَا خَشْيَةُ الرَّحْمَنِ ٦٠
 (٤٥) خَمْسُ قَوَائِدَ ٦٠
 (٤٦) لَا تَنْقُضِي ٦١
 (٤٧) خَلَّ اللَّهُ عَنِّي ٦١
 (٤٨) لَا تَيَأْسَنَّ ٦١
 (٤٩) الْخَلْقُ لَيْسَ بِهَادٍ ٦٢
 (٥٠) تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ ٦٢
 (٥١) عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ ٦٣
- قافية الزاء**
- (٥٢) لَسْتُ بِخَاسِرٍ ٦٥
 (٥٣) لَا أَذْرِي ٦٥
 (٥٤) إِلَّا ٦٦
 (٥٥) ... مِثْلُ ظَفَرِكَ ٦٦
 (٥٦) لَمْ أَجِدْ لِي صَاحِبًا ٦٦
 (٥٧) فَوْقَ أَمْرِي ٦٧
 (٥٨) هُنَاكَ وَهَاهُنَا ٦٧
 (٥٩) لَيْسَ كَثِيرًا ٦٧
 (٦٠) قِيلَ لِي ٦٨
 (٦١) لَكُنْتِي رَاضٍ ٦٨
 (٦٢) إِنْغَرَزَتْ بِهَا ٦٨
 (٦٣) الدَّهْرُ يَوْمَانِ ٦٩
 (٦٤) وَخَدْتِي أَلَدُّ ٦٩
 (٦٥) لَسْتُ أَعْدِمُ قُوَّتًا ٦٩
 (٦٦) كَأَنَّهُ أَجَلٌ ٧٠
 (٦٧) أَطَاعَكَ وَأَجَلَّكَ ٧٠
 (٦٨) إِنْ كُنْتُ تَبْغِي ٧١
- (٦٩) تَعْلَمُ ٧١
 (٧٠) مِنَ الشَّقَاوَةِ ٧١
 (٧١) كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا ٧٢
 (٧٢) نَاطِرٌ فِي سُكُونٍ ٧٢
- قافية السين**
- (٧٣) قَلِيلُ الْحَمَلِ لِلدَّسِ ٧٥
 (٧٤) قَرِيبٌ مِنْ عَدُوٍّ ٧٥
 (٧٥) اللَّهُ ذُو الْأَلَاءِ ٧٦
 (٧٦) لَقَلْعُ ضِرْسٍ أَهْوَى ٧٦
 (٧٧) لَيْسَ يَنَالُهُ ٧٧
- قافية الصاد**
- (٧٨) أَرْشَدَنِي ٧٩
 (٧٩) شَهِدْتُ ٧٩
- قافية الضاد**
- (٨٠) حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ٨١
 (٨١) مِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ ٨١
 (٨٢) عُذْتُ بِالْوَدِّ ٨٢
- قافية العين**
- (٨٣) أَوْقَعَهُ الْمَقْدُورُ ٨٣
 (٨٤) هَذَا مُحَالٌ ٨٣
 (٨٥) إِنْ لَمْ يَضْبِرْ ٨٤
 (٨٦) يُدَاوِي هَوَاهُ ٨٤
 (٨٧) أَحَبُّ الصَّالِحِينَ ٨٤
 (٨٨) كَمَا الْعَلِيلُ ٨٥
 (٨٩) كَمَا طَارَ وَقَعَ ٨٥
 (٩٠) لَا تَطْمَعُ ٨٦
- قافية الفاء**
- (٩١) ذُنَابٌ خِرَافُ ٨٧
 (٩٢) كَيْفَ الْوُصُولُ ٨٧

- (٩٣) وَهُوَ ضَعِيفٌ ٨٧
- (٩٤) سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا ٨٨
- (٩٥) رَحْمَةٌ رَبَّنَا عَلَيْهِ ٨٨
- (٩٦) الضِّدَّانِ الْمُفْتَرِقَانِ ٨٩
- (٩٧) أَلَدَّ لِي ٨٩
- (٩٨) لَمَّا تَغَرَّبَ ٩٠
- (٩٩) تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ٩٠
- (١٠٠) تَبَقَى بِلا صَدِيقٍ ٩١
- (١٠١) عِلْمِي مَعِي ٩١
- (١٠٢) رُزِقْتُ عَلَى جَهْلٍ ٩٢
- (١٠٣) كَجَنَاحِ طَيْرٍ خَافِقٍ ٩٢
- (١٠٤) أَضِيقُ ٩٢
- (١٠٥) كُنْ جَجِيمًا ٩٣
- (١٠٦) مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ ٩٣
- قافية الكاف**
- (١٠٧) فَسَادٌ كَبِيرٌ ٩٥
- (١٠٨) الْقِنَاعَةُ رَأْسُ الْغَنَى ٩٥
- قافية اللام**
- (١٠٩) لَا يُدْرِكُ الْحِكْمَةَ ٩٧
- (١١٠) مَنْ طَلَبَ الْعُلَى ٩٧
- (١١١) حَتَّى أَوْسَدَ ٩٨
- (١١٢) لَمْ يَعْمَلْ ٩٨
- (١١٣) أَذْبَنِي الذَّهْرُ ٩٨
- (١١٤) وَكَذًا ٩٩
- (١١٥) فِي الثَّائِبَاتِ قَلِيلٌ ٩٩
- (١١٦) إِنَّ الْوَقُوفَ ذُلٌّ ١٠٠
- (١١٧) تَعَلَّمْ ١٠٠
- (١١٨) أَخَذْتُوا بِدَعَا ١٠٠
- (١١٩) إِذَا شِئْتُ ١٠١
- (١٢٠) عَزَّ مَنَالُهَا ١٠١
- (١٢١) أَرَاهُ طَعَامًا وَيِيلاً ١٠١
- (١٢٢) لَعَلَّهُ ١٠٢
- (١٢٣) حُبُّكُمْ فَرَضٌ ١٠٢
- قافية الميم**
- (١٢٤) مُهْلِكَةُ الْأَنَامِ ١٠٣
- (١٢٥) عَفُوا ١٠٣
- (١٢٦) فَافْهَمْ ١٠٣
- (١٢٧) كَفَاكَ تَغْلِيمِي ١٠٤
- (١٢٨) صَاحِبُهُ كَرِيمٌ ١٠٤
- (١٢٩) فَقَدْ عَادَاكَ ١٠٥
- (١٣٠) بِهِمْ عَقْلَةٌ ١٠٥
- (١٣١) إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ ١٠٦
- (١٣٢) أَسْتَمِطِرُ الْجُودُ ١٠٦
- (١٣٣) كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا ١٠٧
- (١٣٤) وَاجِبٌ صَوْنُهُ ١٠٨
- (١٣٥) لَسْتُ مُضِيعًا ١٠٩
- قافية النون**
- (١٣٦) صُنْتُ نَفْسِي ١١١
- (١٣٧) لَمْ تُغْنِ ١١١
- (١٣٨) سُنَّةُ الدِّينِ ١١٢
- (١٣٩) هَذَا بِذَلِكَ ١١٢
- (١٤٠) إِلَّا بِسَيِّئَةٍ ١١٣
- (١٤١) وَسَوَاسُ الشَّيَاطِينِ ١١٣
- (١٤٢) لَسْتُ بِوَاجِدٍ ١١٣
- (١٤٣) يَسُونِي ١١٤
- (١٤٤) الصَّمْتُ أَجْمَلُ ١١٤
- (١٤٥) لُقْمَةٌ تَكْفِينِي ١١٤
- (١٤٦) كَحَلْتُ بِهِ أَجْفَانِي ١١٥

١١٩.....	(١٥٨) مِنْ أَفْوَى الْفِطَنِ	١١٥.....	(١٤٧) كُلُّكَ سَوَاءَتْ
١٢٠.....	(١٥٩) أَتْرُكْ هَوَاهُ	١١٥.....	(١٤٨) سَهَرَتْ وَنَامَتْ
	قافية الهاء	١١٦.....	(١٤٩) أَرَحْتُ نَفْسِي
١٢١.....	(١٦٠) لَا خَيْرَ فِيهِ	١١٦.....	(١٥٠) إِحْفَظْ لِسَانَكَ
١٢١.....	(١٦١) مَنَزَلَةُ السَّفِيهِ	١١٧.....	(١٥١) لَا تُكْرِمْهُمْ
١٢٢.....	(١٦٢) تَصَبَّرْ لِلْبَلَوَى	١١٧.....	(١٥٢) الْعَيْبُ فِينَا
	قافية الباء	١١٧.....	(١٥٣) خَافُوا الْفِتْنََ
١٢٣.....	(١٦٣) أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِ	١١٨.....	(١٥٤) فَبَشِّرْهُ
١٢٣.....	(١٦٤) وَعَيْنِ الرِّضَا	١١٨.....	(١٥٥) عَمِيقَ بَحْرِهِ
١٢٤.....	(١٦٥) نَسِينَا الْأَمَانِي	١١٨.....	(١٥٦) الصَّبْرُ جَنَّةٌ
١٢٤.....	(١٦٦) تَجَاوَزُوا هَذَا	١١٩.....	(١٥٧) مَا شِئْتُ كَانَ



يطلب من المكتبات التالية :

مكتبة الصفاء / ابو ظبي - شارع السلام - هاتف : ٦٤٤٥٠٥٣

مكتبة الفن / دمشق - هاتف : ٢٣١٠٥٦٢

موقعنا على الإنترنت

www.alakram.com